# مُوهِمُ الاختلاف والتعارض

دكتور
كمال سيدا حمد إسماعيل العبد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق
جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

**{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}** [الفاتحة/٢-٤]، **{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ س{لالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ}** [السجدة/٦-١٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل القرآن المبين مع الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، أنزله مفرقاً نجوماً، وأودعه أحكاماً وعلوماً: **{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً}** [الإسراء/١٠٦

وأشهد أن نَبِيَّنَا محمداً عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ، وصَفِيُّهُ من خلقه وخليله وحبيبه، أرسله بالحق إلى كافة النَّاس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأنزل معه كتاباً عزيزاً، ونوراً مبيناً، وتبصرة وبياناً، وحكمة وبرهاناً، ورحمة وشفاء، وموعظة وذكراً: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}** [النحل/٨٩]،: **{وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}** [يوسف/١٠٤]،: **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا}** [الإسراء/٨٢].

**وبعـد .....**

فإنَّ العلماء قد عنوا بالقرآن الكريم عناية بالغة من جميع جوانبه، فمنهم من عني بحل ألفاظه وبيان معانيه وأحكامه، ومنهم من عني بمعرفة ناسخه ومنسوخه، وخاصه وعامه، ومنهم من كتب في أسباب نزوله، ومنهم من عني بذكر بلاغته وإعجازه.

ولَمَّا كانت علوم القرآن أشرف العلوم وأفضلها، ودراسته والعكوف على أسراره ومعانيه تعطي المسلم ذخيرة تنفعه في عاجله وآجله، فإنني وَلَّيْتُ وَجْهِي شَطْرَ روضة علوم القرآن الفيحاء، وتَخَيَّرَتُ زهرةً نضرةً، ألا وهي: **(مُوهِمُ الاخْتِلافِ والتَّعَارُضِ)**، وفيها أتحدث عن الأمور التالية:

**أولاً:** المُوهِمُ لغةً واصطلاحاً.

**ثانياً:** الاخْتِلافُ لغةً واصطلاحاً.

**ثالثاً:** التَّعَارُضُ لغةً واصطلاحاً.

**رابعاً:** المراد بـ (مُوهِمِ الاخْتِلافِ والتَّعَارُضِ).

**خامساً:** تَنْبِيْهَانِ في الاخْتِلافِ والتَّعَارِضِ.

**سادساً:** فَائِدَتَانِ عَن الغَزَالِيِّ والكرْمَانِيِّ فِي مَعْنَى الاخْتِلافِ وَنَوْعَيْهِ.

**سابعاً:** كلامُ الصَّدْرِ الأَوَّلِ في مُوهِمِ الاخْتِلافِ.

**ثامناً:** الأسبابُ المُوهِمَةُ الاخْتِلاف.

**تاسعاً:** اسْتِشْكَالانِ وَجَوَابُهُمَا.

**عاشراً:** مُوهِمُ التَّعَارُضِ بَيْنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

ثم أُتْبِع ذلك بالخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

واللهَ-ﷻ- أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجزيني عنه خير الجزاء: **{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ . إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}** [الشعراء/ ٨٨، ٨٩]،: **{رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}** [الممتحنة/٤]،: **{وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}** [هود/٨٨].

## أولاً/ المُوهِم لغةً واصطلاحاً

**المُوهِمُ لغةً:** اسم فاعل من (أَوْهَم)، والأصل الثلاثي(وَهَم) [بفتح الهاء]، وجاء في اللغة بعدة معان، ومنها:

**١- الغَلَطُ والسَّهْوُ:** قال ابن سيده ([١]):" وَهِمَ- بكسر الهاء-: غَلِطَ "([٢]) ا.هـ، ومنه يُقال: وَهِمْتُ في الحسابِ وغيرِهِ: إذا غَلِطْتُ فيه وسَهَوْتُ([٣]).

**٢- التَّخَيُّلُ:** يُقَالُ: تَوَهَّمَ الشيءَ: إذا تَخَيَّلَهُ وتَمَثَّلَهُ، سواء أكان في الوجود أم لم يكن([٤]).

**٣- الغَفْلَةُ:** يُقَالُ: أَوْهَمْتُ الشيءَ: إذا أَغفَلْتُهُ([٥]).

**٤- التَّرْكُ والإِسْقَاطُ:** يقال: أَوْهَمْتُ الشيءَ أُوهِمُهُ إِيهَامَاً: تركتُهُ كلَّه، وأسقطتُهُ ناسياً له([٦])، فأنا موهِمٌ- بكسر الهاء-، والشيءُ مُوْهَمٌ- بفتحها-.

**٥- الظَّنُّ والاتِّهَامُ:** يُقال: اتَّهَمْتُه: ظننتُ فيه ما نُسِبَ إليه([٧])، واتَّهَمَهُ بكذا: أدخل عليه التُّهْمَةَ وظَنَّهَا بِهِ، وتَوَهَّمَ الشيءَ: ظَنَّهُ([٨]).

وخلاصة ما تَقَدَّمَ في تعريف (المُوهِمِ) لغة: أنَّهُ يدور حول معاني السَّهْوِ والغَفْلَةِ والغَلَطِ والظَّنِّ، أي: أنَّهُ يقع على الأمر إذا كان على غير حقيقته.

---

([١]) هو علي بن إسماعيل بن سِيدَه المرسي الأندلسي، من أئمة اللغة والأدب، من تصانيفه: المحكم والمحيط الأعظم، الأنيق في شرح حماسة أبي تمام، توفي سنة ٤٥٨هـ. ينظر أبجد العلوم (٧/٣)، سير أعلام النبلاء (١٤٤/١٨-١٤٦)، بغية الوعاة (١٤٣/٢).

([٢]) المحكم والمحيط الأعظم (٤٤٤/٤).

([٣]) ينظر المخصص (٣٠٦/٤)، الصحاح/ وهم (٢٠٥٤/٥)، لسان العرب/ وهم (٦٤٣/١٢).

([٤]) ينظر المحكم والمحيط الأعظم/ وهم (٤٤٤/٤)، لسان العرب/ وهم (٦٤٣/١٢)، تاج العروس/ وهم (٦٤/٣٤).

([٥]) ينظر تهذيب اللغة/ وهم (٢٤٥/٦)، لسان العرب/ وهم (٦٤٣/١٢).

([٦]) ينظر الصحاح/ وهم (٢٠٥٤/٥)، لسان العرب/ وهم (٦٤٣/١٢).

([٧]) ينظر النهاية في غريب الحديث/ وهم (٥٥٧/١)، لسان العرب/ وهم (٦٤٣/١٢).

([٨]) ينظر مختار الصحاح (وَهِم) ص (٧٤٠)، المعجم الوسيط / وهم (١٠٦٠/٢).

**والموهم اصطلاحاً:** تَصَوُّرُ الشيء على غير حقيقته، أو هو السَّهْوُ والغَلَطُ في أمر من الأمور على سبيل التَّخَيُّلِ والظَّنِّ(١).

۞۞۞

## ثانياً/ الاخْتِلافُ لغةً واصطلاحاً

**الاخْتِلافُ لغةً:** مصدر اخْتَلَفَ، واخْتَلَفَ ضدُّ اتَّفَقَ، يُقَالُ: تَخَالَفَ القومُ واخْتَلَفُوا: إذا ذهب كُلُّ واحدٍ مِنْهُمْ إلى خلافِ ما ذهب إليه الآخَرُ(٢).

ويُقَالُ: تَخَالَفَ الأمْرانِ واخْتلفا: لم يَتَّفِقَا، وكَلُّ ما لم يَتَسَاوَ فقد تَخَالَفَ واخْتَلَفَ(٣)، ومنه قولهم: اخْتَلَفَ النَّاسُ في كذا، والنَّاسُ خِلْفَةٌ: أي مختلِفون، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يُنَحِّي قولَ صاحبِهِ، ويُقيمُ نَفْسَهَ مقام الذي نَحَّاهُ(٤).

ومنه حَدِيْث النَّبِيِّ-ﷺ-: **(اسْتَوُوا وَلا تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ)**(٥) أي: إذا تقدَّمَ بعضُكُم عَلَى بَعضٍ في الصُّفُوفِ؛ تأثرت قُلوبُكم، ونشأ بينكم اختلافٌ في الأُلْفَةِ والمودَّةِ(٦).

**والاختلاف اصطلاحاً:** أَنْ يأْخذ كُلُّ واحدٍ طريقاً غَيْرَ طريقِ الآخَرِ في حالِهِ أَو قولِهِ(٧)، والخِلافُ أَعَمُّ من الضِّدِّ، لأَنَّ كُلَّ ضِدَّينِ مُختلفَانِ، وليس كُلُّ مُخْتَلِفَيْنِ ضِدَّيْنِ(٨).

---

(١) موهم التعارض بين القرآن والسنة للنشوان ص (١١).
(٢) ينظر المصباح المنير/ خلف (١٧٩/١).
(٣) ينظر المحكم والمحيط الأعظم/ خلف (٢٠١/٥)، لسان العرب/ خلف (٨٢/٩)، تاج العروس/ خلف (٢٧٩/٢٣).
(٤) ينظر معجم مقاييس اللغة/ خلف (٢١٣/٢).
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب/ الصلاة، باب/ تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأَوَّل فالأَوَّل منها (٣٢٣/١) ح (٤٣٢).
(٦) ينظر النهاية في غريب الحديث/ خلف (١٤٣/٢)، تاج العروس/ خلف (٢٧٥/٢٣).
(٧) المفردات/ خلف (٣١٥/١)، بصائر ذوي التمييز/ خلف (٥٦٢/٢)، التوقيف على مهمات التعاريف ص (٣٢٢)، وينظر تفسير الثعلبي (٣٣/٧)، معالم التنزيل (٣٩٩/٥)، حاشية الشهاب (٤٠٢/٦)، روح المعاني (٢٢٦/١٨).
(٨) المفردات/ خلف(٣١٥/١)، بصائر ذوي التمييز/ خلف(٥٦٢/٢)، التوقيف على مهمات التعاريف ص(٣٢٢).

ولَمَّا كان الاخْتِلافُ بين النَّاسِ في القول قد يقتضي التَّنَازُعَ؛ استُعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال-ﷻ-: **{فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ}** [مريم/٣٧](١)، قال المناوي(٢): " الاخْتِلافُ: افتعال من الخُلف، وهو ما يقع مِن افتراقٍ بعد اجتماع في أمرٍ مِن
الأمور"(٣).

وبناء على ما سبق؛ يُمكن القول بأن الاختلاف يُراد به مطلق المغايرة في القول، أو الرأي، أو الحالة، أو الهيئة، أو الموقف(٤).

۞۞۞

## ثالثاً/ التَّعَارُضُ لغةً واصطلاحاً

**التَّعَارُضُ** في اللغة مصدر الفعل (تَعَارَضَ)(٥)، وأصل اشتقاقه من مادة (عَرَضَ)، وتأتي هذه المادة لمعان عدة، ومنها:

١- **خِلافُ الطُّولِ:** قال ابن فارس: " العين والراء والضاد بناءٌ تكثرُ فروعُهُ، وهي مع كثرتها ترجعُ إلى أصلٍ واحدٍ، وهو العَرْضُ الذي يُخالف الطُّولَ، ومَنْ حَقَّقَ النظرَ ودقَّقَهُ عَلِمَ صحَّةَ ما قُلناهُ..... فالعَرْضُ: خِلافُ الطُّول، تَقُولُ مِنْهُ: عَرُضُ الشيءُ يعرُضُ عَرْضَاً، فَهُوَ عَرِيضٌ "(٦) ا.هـ

وعلى هذا فَكُلُّ واحدٍ من الدَّلِيْلَيْنِ المُتَعَارِضَيْنِ يجعل نفسه في عرضِ الآخر.

---

(١) المفردات/ خلف (٣١٥/١)، بصائر ذوي التمييز/ خلف (٥٦٢/٢، ٥٦٣).

(٢) هو محمد عبد الرؤوف المُنَاوي القاهري، عالمٌ فاضلٌ، من مصنفاته: فيض القدير، وشرح الشمائل للترمذي، مات سنة ١٠٣١هـ، وقيل غير ذلك. فهرس الفهارس (٥٦٠/٢-٥٦٢)، هدية العارفين (٥١٠/١، ٥١١).

(٣) فيض القدير (٢٧٠/١).

(٤) أدب الاختلاف في الإسلام ص (٦).

(٥) وهو من باب التفاعل، وفِعْلُهُ يقتضي فاعلين فأكثر، ومنه يُقال: (تَعَارَضَا): أي عَارَضَ أحدُهُمَا الآخرَ. المعجم الوسيط/ عرض (٥٩٤/٢)، فإذا قيل: تَعَارَضَ الدَّلِيلانِ، فالمعنى: تَشَارَكَ الدَّلِيلانِ في التَّعَارُضِ الذي وقع بينهما.

(٦) معجم مقاييس اللغة/ عرض (٢٦٩/٤).

٢- **المَنْـعُ**: يُقَـالُ: عَـرَضَ الشَّـيءُ يَعْـرِضُ واعْتَـرَضَ: انتَصَـبَ ومَنَـعَ، وصـار عارِضـاً- كالخشَـبةِ المُنْتَصِـبَةِ فـي الطَّرِيـقِ أو النَّهْـرِ ونحوهـا- تَمْنَـعُ السـالكين سُـلُوكَهَا(١)، ومنـه قولـه-ﷻ- فـي سـورة [البقرة/٢٢٤]: **{وَلا تَجْعَلُـواْ اللهَ عُرْضَـةً لأَيْمَـانِكُمْ أَن تَبَـرُّواْ وَتَتَّقُـواْ وَتُصْـلِحُواْ بَـيْنَ ٱلنَّـاسِ}** أي: مانعـاً معترضـاً، وعليـه فالمعنى: لا تجعلوا أيمانكم بالله-ﷻ- مانعة لكم من البِرِّ وصِلَةِ الرَّحِمِ إذا حلفتم على تَرْكِهَا(٢).

وكُلُّ مانِعٍ مَنَعَكَ من شُغْلٍ وغَيْرِهِ فهو عَارِضٌ، وقد عَرَضَ عارِضٌ: أَي حَالَ حائلٌ ومَنَعَ مانِعٌ(٣)، وقد جعل ابنُ العربي (عَرَضَ)- بمعنى المَنْعِ- مَرْجِعَ جميع المعاني التي تدل عليها فقال- رحمه الله-: " اعْلَمُوا – وَفَّقَكُمُ اللَّـهُ-ﷻ- – أَنَّ " عَرَضَ " فِي كَلامِ الْعَرَبِ يَتَصَرَّفُ عَلَى مَعَانٍ، مَرْجِعُهَا إِلَى الْمَنْعِ؛ لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ اعْتَرَضَ فَقَدْ مَنَعَ "(٤) ا.هـ

وعلـى هذا فالـدَّلِيلانِ المُتَعَارِضَـانِ يمنـع كُـلٌّ واحـدٍ منهمـا مقتضـى الآخـر، ويعترض له، ويحول دونه ودون مدلوله.

٣- **المُقَابَلَـةُ**: يُقـال: عـارَضَ الشـيءَ بالشـيءِ مُعارضـةً: قَابَلَـهُ بِـهِ(٥)، وعَارَضْـتُ كتـابي بكتابـه: أَي قَابَلْتُـهُ(٦)، ومنـه حديث فاطمـة- رضـي الله عنهـا- أنَّ رسـول الله-ﷺ- أخبرها: **"أَنَّ جِبْـرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَـةٍ مَرَّةً، وَأَنَّـهُ قَدْ**

(١) ينظـر المحكم والمحيط الأعظم/ عرض (٣٩٥/١)، تهـذيب اللغـة/ عـرض (٢٩٣/١)، لسان العرب/ عرض (١٦٥/٧).
(٢) ينظر أضواء البيان (١٧١/٦).
(٣) ينظر تهذيب اللغة/ عرض (٢٨٩/١)، لسان العرب/ عرض (١٦٥/٧).
(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٣٣٤/١).
(٥) المحكم/ عرض (٣٩٤/١)، المصباح المنير/ عرض (٤٠٤/٢)، لسان العرب/ عرض (١٦٥/٧).
(٦) الصـحاح/ عـرض (١٠٨٧/٣)، تهـذيب اللغـة/ عـرض (٢٩٤/١)، مختـار الصـحاح (عرض) ص (٤٦٧)، لسان العرب/ عرض (١٦٥/٧).

**عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أَرَى الأَجَلَ إِلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ "**(١)، قال ابن الأثير: " أي: كَان يُدَارِسُه جميعَ ما نَزَلَ من القرآن، مِنَ المُعَارَضة: المُقَابَلَة"(٢).

فَكَأَنَّ كُلَّ واحدٍ من الدَّلِيْلَيْنِ المُتَعَارِضَيْنِ يأتي في مقابل الآخر ومواجهته، لا معه.

٤- **الظُّهُورُ**، يُقَالُ: عَرَضَ لـه أَمْرُ كَذَا: أَي ظَهَرَ، وعَرَضْتُ عليه أَمْرَ كَذَا، وعَرَضْتُ له الشيءَ: أَي أَظهرتُهُ لَهُ وأَبْرَزْتُهُ إليه(٣).

فَكَأَنَّ كُلَّ واحدٍ من الدَّلِيْلَيْنِ المُتَعَارِضَيْنِ ظَهَرَ وبَرَزَ للدَّلِيْلِ الآخر، معارضاً له.

٥- **النَّاحِيَةُ والجَانِبُ**: يُقَالُ: عَارَضَ فلاناً: أي جَانَبَهُ وعَدَلَ عنه(٤)،والعُرْضُ- بضم العين-: الجَانِبُ والنَّاحِيَةُ مِن كُلِّ شيء(٥).

قال الزَّركشي:" التَّعَارُضُ حَقِيقَتُهُ: تَفَاعُلٌ من الْعُرْضِ- بِضَمِّ الْعَيْنِ- وهو النَّاحِيَةُ وَالْجِهَةُ، وَكَأَنَّ الْكَلاَمَ الْمُتَعَارِضَ يَقِفُ بَعْضُهُ في عُرْضِ بَعْضٍ، أَيْ نَاحِيَتِهِ وَجِهَتِهِ، فَيَمْنَعُهُ من النُّفُوذِ إلَى حَيْثُ وُجِّهَ "(٦) ا.هـ

فهذه أبرز وأشهر معاني التَّعَارُضِ في اللغة، وهي التي راعاها الأصوليون في تعريفاتهم المُتَعَدِّدَةِ للتَّعَارُضِ اصطلاحاً.

**- التعارض اصطلاحاً:**

---

(١) هذا جزء حديث أخرجه البخاري في صحيحه [واللفظ له]: كتاب/ الاستئذان، باب/ مَنْ نَاجَى بين يدي النَّاس، ومَن لم يُخْبِر بِسِرِّ صاحبه، فإذا مات أَخْبَرَ به (٢٣١٧/٥) ح = =(٥٩٢٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب/ فضائل الصحابة، باب/ مِن فضائل فاطمة بنت النبي-ﷺ- (١٩٠٤/٤) ح (٢٤٥٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث/ عرض (٤٣٩/٣).

(٣) ينظر الصحاح/ عرض (١٠٨٢/٣)، مختار الصحاح (عرض) ص (٤٦٧)، لسان العرب/ عرض (١٦٥/٧)، تاج العروس/ عرض (٣٨٢/١٨).

(٤) ينظر الصحاح/ عرض (١٠٨٤/٣)، مختار الصحاح(عرض) ص (٤٦٧)، القاموس المحيط(عرض) ص (٨٣٤)، لسان العرب/ عرض (١٦٥/٧).

(٥) ينظر النهاية في غريب الحديث/ عرض (٤٣٩/٣)، المصباح المنير/ عرض (٤٠٤/٢)، لسان العرب/ عرض (١٦٥/٧).

(٦) البحر المحيط في أصول الفقه (٤٠٧/٤).

تَعَدَّدَت تعريفاتُ الأصوليين للتَّعَارُضِ اصطلاحاً، واختلفت عباراتهم فيها، إلاَّ أَنَّ النَّاظِرَ لهذه التَّعريفات يُدْرِكُ أَنَّ حقيقة التَّعَارُضِ في الاصطلاح عندهم واحدة لا تختلف؛ لأنَّ الاختلاف في التَّعريفاتِ راجع إلى الصياغة اللفظية، ولعل كثرة معاني مادة (عَرَضَ) في اللغة كانت سبباً في ذلك، حيث راعى كُلُّ واحدٍ منهم في بنائه للتعريف معنى لغوياً مختلفاً عن الآخر(١).

ومن هذه التعريفات ما يلي:
– أَنَّهُ: تَقَابُلُ الدَّلِيْلَيْنِ على سبيل المدافعة والممانعة(٢).
– أَنَّهُ: اقتضاءُ كُلٍّ من الدَّلِيْلَيْنِ عدمَ مقتضى الآخر(٣).
– أَنَّهُ: تَقَابُلُ الحُجَّتَيْنِ على السَّواءِ، لا مَزِيَّةَ لإحداهما في حُكْمَيْنِ مُتَضَادَيْنِ(٤).

۞۞۞

## رابعاً/ المراد بـ (مُوهِمِ الاخْتِلافِ والتَّعَارُضِ)

**المراد به:** ما يُوهِمُ الاختلاف والتَّعارض بين آيات القرآن الكريم(٥).

وهذا التَّعارض ليس راجعاً إلى الآيات، فإن الآيات لا تعارض بينها ولا اختلاف؛ قال–ﷻ–: **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلاَفًا كَثِيرًا}** [النساء/٨٢]، فالتعارض والاختلاف منفيَّان عن الشَّرْعِ، لأن الشَّرْعَ لا اختلاف فيه ولا تعارض ولا تناقض.

**فإن قيل:** كيف لا اختلاف في الشَّرْعِ ولا تعارض ولا تناقض، وهذه بعض الآيات يشكل معناها على آيات أُخرى ؟

**فالجواب:** أن هذا التَّعارض والتَّناقض يقع للنَّاظرِ ابتداءً فيما يظنُّهُ اختلافاً بين الآيات، وليس كذلك، قال الزَّركشي: " كلامُ الله–ﷻ– منزهٌ عن الاختلاف كما قال–ﷻ–: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلاَفًا كَثِيرًا}**

(١) موهم التعارض بين القرآن والسنة للمحيميد ص (٣٦) بتصرف.
(٢) البحر المحيط في أصول الفقه (١٠٩/٦).
(٣) التقرير والتحبير في أصول الفقه (٣/٣).
(٤) أصول البزدوي ص (٢٠٠).
(٥) البرهان (٤٥/٢)، الإتقان (٨٩/٣).

[النساء/٨٢] ولكن قد يقع للمبتدئ ما يُوهم اختلافاً، وليس به، فاحتيج لإزالته"([1]) ا.هـ، وقال القَنُّوجي([2]): " وإنما قلنا مُوهِمُ الاختلاف والتَّناقض، إذ كلام الله-ﷻ- [منزهٌ] عنهما حقيقة، وإنما يكون ذلك بالنِّسبة إلى الأوهام القاصرة"([3]) ا.هـ، وعليه: فالآيات القرآنيَّةُ التي يفهم منها قُصَّارُ النَّظَرِ التَّعارضَ؛ يجب حَمْلُ كُلِّ نوع منها على ما يليق ويناسب المقام، كُلٌّ بِحَسَبِهِ([4])، وقد تكلَّم في ذلك الصَّدْرُ الأَوَلُّ: ابنُ عباسٍ وَغَيْرُهُ.

## خامساً/ تَنْبِيْهَانِ فِي الاخْتِلافِ والتَّعَارِضِ

### التَّنْبِيْهُ الأَوَّلُ

إذا تعارضت الآيُ وتَعَذَّرَ فيها التَّرتيبُ والجمعُ طلب التَّاريخ وترك المتقدِّم منهما بالمتأخر، ويكون ذلك نسخاً له، وإن لم يُعلم التَّاريخ وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين عُلِمَ بإجماعهم أن النَّاسخ ما أجمعوا على العمل بها([5]).

### التَّنْبِيْهُ الثَّانِي

جماع الاختلاف والتَّناقض: أنَّ كلَّ كلامٍ صَحَّ أن يُضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجهٍ من الوجوه فليس فيه تناقض، وإنما التناقض في اللفظ: ما

([1]) البرهان (٢/٤٥).
([2]) هو محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القنوجي، وُلد ونشأ في قَنُّوج (بالهند)، له نَيِّفٌ وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية، منها بالعربية: أبجد العلوم، فتح البيان في مقاصد القرآن، توفي سنة ١٣٠٧هـ. ينظر إيضاح المكنون (٣/١٠)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ص (٧٣٨-٧٤٦)، هدية العارفين (٢/٣٨٨-٣٩٠).
([3]) أبجد العلوم (٢/٥١١).
([4]) القواعد الحسان في تفسير القرآن للسعدي ص (٣٦).
([5]) ينظر البرهان (٢/٤٨)، الإتقان (٣/٨٩)، الموسوعة القرآنية (١/٥٩٢).

ضاده من كل جهة، ولا يوجد في الكتاب ولا في السنَّةِ شيء من ذلك أبداً، وإنما يُوجد فيه النَّسْخُ في وقتين(١).

## سادساً/ فَائِدَتَانِ عَنِ الغَزَالِيِّ والكرْمَانِيِّ فِي مَعْنَى الاخْتِلافِ وَنَوْعَيْهِ

### الفَائِدَةُ الأُولَى

سُئِلَ الغزاليُّ عن معنى قوله-ﷻ-: **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلاَفًا كَثِيرًا}** [النساء/٨٢] فأجاب بما صورته: الاختلاف لفظ مشترك بين معان، وليس المراد نفي اختلاف النَّاسِ فيه، بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن، يُقال: هذا كلام مختلف، أي لا يشبه أَوَّلُهُ آخِرَهُ في الفصاحة، إذ هو مختلف، أي بعضه يدعو إلى الدِّين، وبعضه يدعو إلى الدنيا، أو هو مختلف النظم: فبعضه على وزن الشِّعر، وبعضه منزحف، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة، وبعضه على أسلوب يخالفه، وكلام الله-ﷻ- منزَّهٌ عن هذه الاختلافات، فإنَّه على منهاج واحد في النَّظم مناسب أوَّله آخره، وعلى مرتبة واحدة في غاية الفصاحة، فليس يشتمل على الغثِّ والسَّمِينِ، ومسوق لمعنى واحد: وهو دعوة الخلق إلى الله-ﷻ-، وصرفهم عن الدُّنيا إلى الدِّين، وكلام الآدميين يتطرق إليه هذه الاختلافات، إذ كلام الشُّعراء والمترسلين إذا قيس عليه وُجِدَ فيه اختلاف في منهاج النَّظم، ثُمَّ اختلاف في درجات الفصاحة، بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغثِّ والسمين، فلا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة، وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة، لأن الشُّعراءِ **{فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ}** [الشعراء/٢٢٥]، فتارة يمدحون الدُّنْيَا، وتارة يَذُمُّونَهَا، وتارة يمدحون الجُبن فيُسَمُّونَهُ حَزْمَاً، وتارة يَذُمُّونَهُ ويُسَمُّونَهُ ضَعْفَاً، وتارة يمدحون الشَّجاعة ويُسَمُّونَهَا صراحة، وتارة يَذُمُّونَهَا ويُسَمُّونَهَا تَهَوُّرَاً، ولا ينفك كلام آدمي عن هذه

(١) ينظر البرهان (٥٣/٢)، الإتقان (٨٩/٣)، الموسوعة القرآنية (٥٩٢/١).

الاختلافات، لأنَّ منشأ هذه الاختلافات اختلاف الأغراض واختلاف الأحوال، والإنسان تختلف أحواله فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه، ويتعذر عليه عند الانقباض، ولذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مَرَّةً، ويميل عنه أخرى، فيوجب اختلاف الأحوال والأغراض اختلافاً في كلامه بالضرورة، فلا تصادف اللسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة– وهي مدة نزول القرآن– فيتكلم على غرض واحد وعلى منهج واحد، ولقد كان رسول الله–ﷺ– بشراً تختلف أحواله، فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، – والله أعلم–([1]).

## الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ

قال الكرمانيُّ عند قوله–ﷻ– **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلاَفاً كَثِيرًا}** [النساء/٨٢]: الاختلاف على وجهين:

**اختلاف تناقض:** وهو ما يدعو فيه أحدُ الشَّيئينِ إلى خلاف الآخر، وهذا هو الممتنع على القرآن الكريم.

**واختلاف تلازم:** وهو ما يوافق الجانبين، كاختلاف وجوه القراءة، واختلاف مقادير السُّور والآيات، واختلاف الأحكام من النَّاسخِ والمنسوخِ، والأَمْرِ والنَّهْيِ، والوعد والوعيد([2]).

([1]) البرهان (٤٦/٢، ٤٧)، الإتقان (٢٠/٤، ٢١)، سبل الهدى والرَّشاد في سيرة خير العباد (٤٢٦/٩).

([2]) الإتقان (٨٩/٣)، الكليات لأبي البقاء الكفوي (٦٠/١، ٦١)، الموسوعة القرآنية (١٩٥/٢).

## سابعاً/ كلامُ الصَّدْرِ الأَوَّلِ في مُوهِمِ الاخْتِلافِ

تكلـم فـي مُـوهِمِ الاخـتلافِ الصَّـدْرُ الأَوَّلُ: ابـنُ عبـاس والحسـنُ البصـريُّ وغيرُهُما، وبيان ذلك فيما يلي:

### ١- ما جاء عن ابن عباس -رضي الله عنه-

**تمهيد:** إن الآيات القرآنيَّةَ الَّتِي يفهم منها قُصَّارُ النَّظَرِ التعارضَ؛ يجب حَمْلُ كلِّ نوع منها على ما يليق ويناسب المقام، كُلٌّ بحسبه، وقد تكلّمَ في ذلك ابنُ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه-، وحُكِيَ عنه التَوَقُّفُ في بعضها، وفيما يلي ذكرٌ لموضعٍ تَكَلَّمَ فيه، وآخَر تَوَقَّفَ فيه-رضي الله عنه-:

#### موضعٌ تَكَلَّمَ فيه ابن عباس -رضي الله عنه-

عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال: " جاء رجلٌ إلى ابن عباس فقال: أرأيت أشياء تختلف عَلَيَّ من القرآن ؟ قال: ما هو ؟ أَشَكٌّ في القرآن ؟ قال: ليس بِشَكٍّ ولكن اختلاف، قال: فهات ما اختلف عليك من ذلك، قال: أسمع اللهَ حيث يقول: **{ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}** [الأنعام/٢٣] وقال: **{وَلاَ يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا}** [النساء/٤٢] فقد كتموا، قال: وماذا ؟ قال: أسمعه يقول: **{فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَآءَلُونَ}** [المؤمنون/١٠١] وقال: **{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَآءلُونَ}** [الصافات/ ٢٧، الطور/٢٥]، وقال: **{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ}** حتى بَلَغَ **{طَآئِعِينَ}** [فصلت/٩-١١] وقال في الآية الأخرى: **{أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا}** [النازعات/٢٧، ٢٨] ثم قال: **{وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}** [النازعات/٣٠]، قال: أسمعه يقول: **{وَكَانَ ٱللَّهُ}** ما شأنه يقول: وكان اللهُ ؟ فقال ابنُ عباس: أَمَّا قوله **{ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}** [الأنعام/٢٣] فإنهم لَمَّا رأوا يوم القيامة أنَّ الله يغفر لأهل الإسلام، ويغفر الذنوب، ولا يغفر شِرْكَاً، ولا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره، جحد المشركون فقالوا: **{وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}** رجاء أن يغفر لهم، فختم على أفواههم، وتكلَّمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، فعند ذلك يودُّ الَّذين كفروا

وعصوا الرَّسُولَ لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا، وأَمَّا قوله **{فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَآءَلُونَ}** [المؤمنون/١٠١] فإنَّه إذا نفخ في الصور فصعق مَن في السماوات ومَن في الأرض إلا مَن شاء اللهُ، فلا أنساب بينهم عند ذلك، ولا يتساءلون، ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخرى فإذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، وأَمَّا قوله **{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ}** [فصلت/٩] فإنَّ الأرض خُلقت قبل السَّمَاءِ، وكانت السَّمَاءُ دخاناً فَسَوَّاهُنَّ سبع سماوات في يومين بعد خلق الأرض، وأَمَّا قوله **{وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}** [النازعات/٣٠]، فيقول: جعل فيها جبلاً، جعل فيها نهراً، جعل فيها شجراً، جعل فيها بحوراً، وأَمَّا قوله **{وَكَانَ ٱللهُ}** فإن الله كان ولم يزل كذلك، وهو كذلك عزيزٌ حكيمٌ عليمٌ قديرٌ لم يزل كذلك، فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذَكَرْتُ لَكَ، وإنَّ الله لم ينزل شيئا إلا وقد أصاب الَّذي أراد، ولكنَّ أكثر النَّاسِ لا يعلمون "(١).

قال ابن حجر: " وحاصل ما في هذا الحديث: السؤال عن أربعة مواضع:

**الأَوَّلِ:** نفي المسألة يوم القيامة وإثباتها.

**الثَّانِي:** كتمانُ المشركين حَالَهُم وإفشاؤه.

**الثَّالِثُ:** خَلْقُ الأرض أو السَّماء أَيُّهُمَا تَقَدَّمَ ؟

**الرَّابِعُ:** الإتيان بـ (كان) الدالة على المضيِّ مع أنَّ الصفة لازمة.

---

(١) أخرجه بنحوه: البخاري في صحيحه تعليقاً في كتاب/ التفسير، باب/ تفسير سورة حم السجدة (٤/ ١٨١٤) ح (٤٥٣٧)، ثم وصله في آخر الحديث فقال: " حَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ عَدِيٍّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ، عَنِ الْمِنْهَالِ بِهَذَا " ا.هـ، كما وصله ابن حجر في تغليق التعليق (٤/٣٠٠، ٣٠١)، فتح الباري (٨/٥٥٩).
وأخرجه أيضاً بنحوه: عبد الرزاق في تفسيره (١/١٦٠-١٦٢)، وابن المنذر في تفسيره (٢/٧١٤-٧١٧) ح (١٧٩١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٤٥-٢٤٨) ح (٨٠٩)، والحاكم في المستدرك: كتاب/ التفسير، باب/ تفسير سورة المؤمنون (٢/٤٢٨) ح (٣٤٨٩) وصححه، ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢٤٥) ح (١٠٦١٦).

وحاصل جواب ابن عَبَّاسٍ عن **الأَوَّلِ:** أنَّ نفي المساءلة فيما قبل النفخة الثانية،وإثباتها فيما بعد ذلك، وعن **الثَّانِي:** أنَّهم يكتمون بألسنتهم،فتنطق أيديهم وجوارحهم، وعن **الثَّالِثِ:** أنَّهُ بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوة، ثم خلق السَّماوات فَسَوَّاهُنَّ في يومين، ثُمَّ دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين، فتلك أربعة أيام للأرض، وعن **الرَّابِعِ:** بأنَّ (كان) وإن كانت للماضي، لكنها لا تستلزم الانقطاع، بل المراد أنَّه لم يزل كذلك([1]) " ا.هـ

**فَأَمَّا المَوْضِعُ الأَوَّلُ [وهو: نفي المساءلة يوم القيامة وإثباتها]:** فقد جاء فيه تفسير آخر، وهو أنَّ نفي المساءلة عند تشاغلهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط، وإثباتها فيما عدا ذلك، وهذا منقول عن السُّدي، وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أنَّ نفي المساءلة عند النفخة الأولى، وإثباتها بعد النفخة الثانية([2]).

وقد تَأَوَّلَ ابنُ مسعود نفي المساءلة على معنى آخر وهو: طلب بعضهم من بعض العفو، فأخرج ابن جرير من طريق زَاذَان([3]) قال: أتيت ابن مسعود فقال: يُؤْخَذُ بِيَدِ العبد أو الأمة يوم القيامة على رءوس الأوَّلين والآخرين، قال: وينادي مناد: ألا إنَّ هذا فلان ابن فلان، فَمَنْ كان له حَقٌّ قِبَلَهُ فليأت إلى حَقِّهِ، قال: فتفرح المرأة يومئذ أنْ يكون لها حقٌّ على ابنها، أو على أبيها، أو على أخيها، أو على زوجها **{فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ}** [المؤمنون/١٠١]([4]).

---

([1]) فتح الباري (٥٥٨/٨)، وينظر الإتقان (٨٠/٣، ٨١).

([2]) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٢/١٩)، وينظر فتح الباري (٥٥٨/٨)، الإتقان (٨١/٣).

([3]) هو زَاذَان، أبو عبد الله، ويقال: أبو عمر الكندي مولاهم الكوفي الضَّرير البزَّار، روى عن عليٍّ وابن مسعود وابن عمر، وروى عنه عمرو بن مرَّة وعبد الله بن السائب وغيرهما، قال ابن حجر: " صدوق يرسل، وفيه شيعية، مات سنة ٨٢هـ " ا.هـ تقريب التهذيب ص (٢١٣)، وينظر التاريخ الكبير(٤٣٧/٣)، الثقات لابن حبان (٢٦٥/٤).

([4]) جامع البيان (٣٦٣/٨)، (٧٢/١٩)، وينظر فتح الباري (٥٥٨/٨)، الإتقان (٨١/٣).

**وأما المَوْضِعُ الثَّانِي [وهو: كتمانُ المشركين حَالَهُم وإفشاؤه]:** فقد ورد بأبسط منه فيما أخرجه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أنَّ نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال: قول الله **{وَلاَ يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا}** [النساء/٤٢] وقوله **{وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}** [الأنعام/ ٢٣]، فقال له ابن عباس: (إنِّي أحسبك قمتَ من عند أصحابك فقلتَ: " أُلْقِي على ابن عباس مُتَشابه القرآن "، فإذا رجعتَ إليهم فأخبرهم أنَّ اللهَ جامعُ النَّاس يوم القيامة في بَقيع واحد فيقول المشركون: " إنَّ الله لا يقبل من أحد شيئًا إلا ممن وَحَّدَهُ " ! فيقولون: " تعالوا نَقُل " ! فيسألهم فيقولون: " والله رَبِّنَا ما كُنَّا مشركين "، قال: فيختم على أفواههم، ويستنطق جوارحهم، فتشهد عليهم جوارحهم أنَّهم كانوا مشركين، فعند ذلك تمنوا لو أنَّ الأرض سُوِّيت بهم ولا يكتمون الله حديثًا)([1]).

ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في أثناء حديث، وفيه: **" ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَا هُنَا إِذًا، – قَالَ –: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ "**([2]).

---

([1]) جامع البيان (٣٧٥/٨)، وينظر فتح الباري (٥٥٨/٨)، الإتقان (٨١/٣، ٨٢).

([2]) هذا جزء حديث، وَمَطْلَعُهُ: **" قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ: " هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: " فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، – قَالَ –: فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ: أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ ؟ فَيَقُولُ: لاَ، = =فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ: أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ ؟ فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي ".**
أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب/ الزهد والرقائق (٢٢٧٩/٤) ح (٢٩٦٨)، قال النووي: " قَوْلُهُ– ﷺ– (أَيْ فُلْ) هُوَ بِضَمِّ الْفَاء وَإِسْكَان اللام، وَمَعْنَاهُ: يَا فُلان، وَهُوَ تَرْخِيم عَلَى خِلاف الْقِيَاس،

**وأما المَوْضِعُ الثَّالِثُ [وهو خَلْقُ الأَرض أو السَّماء أَيُّهُمَا تَقَدَّمَ ؟]** ففيه أجوبة أخرى:

منها: أنَّ (ثُمَّ) في قوله-ﷻ- **{ثُمَّ ٱسْتَوَى إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ}** [فصلت/١١] بمعنى الواو، فلا إيراد(١)، وقيل المراد: ترتيب الخبر لا المخبر به، كقوله-ﷻ- **{ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ}** [البلد/ ١٧](٢)، وقيل: (ثُمَّ) على

---

وَقِيلَ: هِيَ لُغَة بِمَعْنَى فُلان حَكَاهَا الْقَاضِي، وَمَعْنَى (أُسَوِّدك): أَجْعَلك سَيِّداً عَلَى غَيْرك، أَمَّا (تَرْأَس) فَبِفَتْحِ التَّاء وَإِسْكَان الرَّاء وَبَعْدهَا هَمْزَة مَفْتُوحَة، وَمَعْنَاهُ: رَئِيسُ الْقَوْمِ وَكَبِيرُهُمْ " ا.هـ شرح النووي على مسلم (١٠٣/١٨).

(١) فتح الباري (٥٥٨/٨)، الإتقان (٨٢/٣)، وذكره النحاس في معاني القرآن (٢٤٩/٦) وقال: " وهذا لا يصح ولا يجوز "، وذكره الشنقيطي في الأضواء (١٥/٧) وحكم عليه بالضعف.

(٢) معاني القرآن للنحاس (٢٤٩/٦)، غرائب القرآن (٥٠/٦)، فتح الباري (٥٥٨/٨)، الإتقان (٨٢/٣)، إعراب القرآن للدرويش (٥٢٠/٨)، وذكره الشنقيطي في الأضواء (١٥/٧) وحكم عليه بالضعف، قال أبو حَيَّان (٤٦٧/٧): " إنَّ الكفار وُبِّخُوا وقُرِّعُوا بكفرهم بِمَنْ صدرت عنه هذه الأشياء جميعها، من غير ترتيب زماني، وأنَّ (ثُمَّ) لترتيب الأخبار، لا لترتيب الزَّمان والمهلة، كأنه قال: قُل أئنَّكم لتكفرون بالَّذي أخبركم أنَّه خلق الأرض، وجعل فيها رواسي من فوقها، وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها، ثم أخبركم أنَّه استوى إلى السماء، فلا تعارض في الآية لترتيب الوقوع الترتيب الزماني، ولَمَّا كان خلق السماء أبدع في القدرة من خلق الأرض، استؤنف الإخبار فيه بـ (ثُمَّ) فهي لترتيب الأخبار كما في قوله-ﷻ- **{ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ}** [البلد/١٧]، بعد قوله **{فَلا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ}** [البلد/١١]، ومِن ترتيب الأخبار قوله-ﷻ- **{ثُمَّ ءاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ}** [الأنعام/١٥٤] بعد قوله **{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ}**، [الأنعام/١٥١]، وَيَكُونَ قَوْلُهُ-ﷻ- **{فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ}** [فصلت/ ١١] بعد إخباره بما أخبر به، تصويراً لخلقهما على وفق إرادته = =-ﷻ-، كقولك: أرأيت الذي أثنيت عليه ؟ فقلت: إنك عالم صالح ؟ فهذا تصوير لما أثنيت به وتفسير له، فكذلك أخبر-ﷻ- بأنه خلق كيت وكيت، فأوجد ذلك إيجاداً لم يتخلف عن إرادته، ويدل على أنه المقصود الإخبار بوقوع هذه الأشياء من غير ترتيب زماني قولُهُ-ﷻ- في [سورة الرعد/٢] **{ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا}** ثم قال بعد: **{وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَاراً}** [الرعد/٣] " ا.هـ

بابها، وهي لتفاوت ما بين الخَلْقَيْن، لا للتراخي في الزمان(١)، وقيل: (خَلَقَ) بمعنى

(١) فتح الباري (٥٥٨/٨)، الإتقان (٨٢/٣)، البحر المديد (١٦٣/٥)، وعليه فـ (ثُمَّ) هنا ليست للتراخي في الوقت، وإنما لبيان ما بين الخَلْقَيْن من التفاوت، قال البيضاوي (١٠٨/٥): " الظاهر أنَّ (ثُمَّ) لتفاوت ما بين الخَلْقَيْن، لا للتراخي في المُدَّةِ " ا.هـ، وعلق شيخ زاده (٢٥٣/٤) قائلاً: " قوله (الظاهر أنَّ (ثُمَّ) لتفاوت ما بين الخلقين) أي بحسب الرُّتبة على سبيل الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى، لأن الكلام مع المعاندين المتمردين، والمعنى: أئنكم لتكفرون بالَّذي خلق الأرض في يومين وفَعَلَ كذا وكذا، وأعظم من ذلك أنه استدعت الحكمة أن يخلق السماء..... فقال لها ولِلأرض ائتيا طوعا أو كرهاً، ومقصود المصنف من هذا القول دفع ما يتوهم من المنافاة بين قوله–ﷻ– **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى ٱلسَّمَآءِ}**، وبين قوله–ﷻ– **{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا}** [النازعات/٢٧–٣٠]، فإنَّ الأَوَّلَ يشعر بأنَّ السَّماء خلقت بعد الأرض: وبه قال ابن عبَّاس–ﷺ–، والثَّاني يدل على أنَّ خلق الأرض كان بعد خلق السَّماء: وبه قال قتادة والسُّدي، وهما متنافيان، وجوابه المشهور بين المفسرين: أنْ يُقال: إنَّه–ﷻ– خلق الأرض أولاً، ثم خلق بعده السماء كما هو المفهوم من هذه الآية، ثُمَّ بعد خلق السَّماء دحا الأرض وبسطها، وبهذا الطريق يزول التناقض " ا.هـ، **وعليه:** فأصل خلق الأرض قبل خلق السَّماء، ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذلك بعد خلق السَّماء، ويدل لهذا أنَّه–ﷻ– قال: **{وَٱلأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا}** ولم يقل خلقها، ثم فَسَّرَ دَحْوَهُ إيَّاهَا بقوله: **{أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا}** [النازعات/٣١]، وهذا الجمع الذي جمع به ابن عباس بين هاتين الآيتين واضح لا إشكال فيه، مفهوم من ظاهر القرآن العظيم، إلا أنَّهُ يرد عليه إشكال من آية [البقرة/٢٩] وفيها يقول–ﷻ–: **{هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى ٱلسَّمَآءِ}**، وإيضاحه أنَّ ابن عباس جمع بأنَّ خَلْقَ الأرض قبل خَلْقِ السَّماء، ودحوها بما فيها بعد خلق السَّماء، وفي آية سورة البقرة التصريح بأنَّ جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السماء، قال الشنقيطي: " وقد مكثتُ زمنا طـــــــــــــــــــويلا أُفكـــــــــــــــــــر فـــــــــــــــــــي =

=حلِّ هذا الإشكال حتى هداني اللهُ إليه ذات يوم ففهمته من القرآن العظيم، وإيضاحه: أنَّ هذا الإشكال مرفوعٌ من وجهين، كلٌّ منهما تدل عليه

آيةٌ من القرآن:

**الوَجْهُ الأَوَّلُ:** أنَّ المراد بخلق ما في الأرض جميعاً قبل خلق السماء: الخلق اللغوي الَّذي هو التَّقدير، لا الخلق بالفعل، الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود، والعرب تسمي التَّقدير

(قَدَّرَ)(١).

**وَأَمَّا المَوْضِعُ الرَّابِعُ [وهو: الإتيان بـ(كان) الدَّالة على المضي مع أنَّ الصفة لازمة]** وجواب ابن عباس عنه: بأنَّ الله-ﷻ- كان غفوراً رحيماً، ولم يزل كذلك، وهو كذلك عزيزٌ حكيمٌ عليمٌ قديرٌ لم يزل كذلك، فيحتمل كلام ابن عباس-رضي الله عنهما-: أنَّ الله-ﷻ- سَمَّى نفسه (غفوراً رحيماً)، وهذه التسمية مَضَتْ، لأن التعلق انقضى، وأما الصفتان فلا تزالان كذلك لا ينقطعان، لأنه-ﷻ- إذا أراد المغفرة أو الرحمة في الحال أو الاستقبال وقع مراده.

ويحتمل أنْ يكون ابن عباس-رضي الله عنهما- أجاب بجوابين: أحدهما: أَنَّ التَّسمية هي التي كانت وانتهت، والصفة لا نهاية لها، والآخر: أنَّ معنى (كان) الدَّوام، فإنَّه لا يزال كذلك.

ويحتمل أنْ يُحْمَلَ السؤال على مسلكين، والجواب على دفعهما، كأنْ يقال: هذا اللفظ مشعر بأنَّه في الزمان الماضي كان غفوراً رحيماً مع أنه لم يكن هناك مَن يُغفر له أو يُرحم، وبأنَّه ليس في الحال كذلك لِمَا يشعر به لفظ (كَانَ)، والجواب عن الأَوَّلِ بأنَّه كان في الماضي يُسَمَّى به، وعن الثاني بأنَّ(كَانَ)

---

خلقاً، ومنه قول زهير [في ديوانه ص (١٩)]: ولأنتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبَعْ ** ضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي

والدَّلِيلُ على أنَّ المراد بهذا الخلق التَّقدير، أنَّه-ﷻ- نَصَّ على ذلك في سورة فصلت، حيث قال: **{وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا}** ثم قال: **{ثُمَّ ٱسْتَوَى إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ}**.

**الوَجْهُ الثَّانِي:** أنَّه لَمَّا خلق الأرض غير مدحوة، وهي أصلٌ لكلِّ ما فيها، كان كُلُّ ما فيها كأنَّه خلق بالفعل لوجود أصله فعلاً، والدَّلِيلُ من القرآن على أنَّ وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع- وإن لم يكن موجودا بالفعل- قوله-ﷻ- **{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ}** [الأعراف/١١]، فقوله **{خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ}** أي بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم الذي هو أصلكم ". ا.هـ أضواء البيان (١٤/٧، ١٥)، دفع إيهام الاضطراب ص (١٢، ١٣).

(١) ينظر التفسير الكبير (٥٥٧/٢٧)، لباب التأويل (١٠٥/٦)، فتح الباري (٥٥٨/٨)، الإتقان (٨٢/٣).

تعطـى معنـى الـدَّوام(١)، وقـد قـال النُّحـاة: كـان لثبـوت خبرهـا ماضـياً، دائمـاً أو منقطعاً(٢).

## موضعٌ تَوَقَّفَ فيه ابنُ عباس –ﷺ–

أخرج أبو عبيد بسنده قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال: (سأل رجلٌ ابنَ عَبَّاسٍ–ﷺ– عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال ابنُ عَبَّاسٍ–ﷺ–: فما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ قال الرجل: إنما سألتك لتحدثني، فقال ابنُ عَبَّاسٍ –ﷺ–: (هما يومان ذَكَرَهُمَا اللهُ–ﷻ– في كتابه، اللهُ أعلم بهما) فَكَرِهَ أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم)(٣).

وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه، وزاد (فقال ابنُ عَبَّاسٍ–ﷺ–: أَيَّامٌ سَمَّاهَا اللهُ، لا أدري ما هي ؟ أكره أن أقول فيها ما لا أعلم، قال ابن أبي مليكة: فضرب الدهر حتى دخلتُ على سعيد بن المسيب فسئل عنها فلم يدر ما يقول فيها، قال: فقلت له: ألا أخبرك ما حضرت مِن ابنِ عَبَّاسٍ ؟ فأخبرتُهُ، فقال ابنُ المسيب للسَّائِلِ: هذا ابنُ عَبَّاسٍ قد اتَّقَى أنْ يقول فيها، وهو أعلم مني)(٤).

---

(١) فتح الباري (٥٥٨/٨، ٥٥٩)، الإتقان (٨٢/٣، ٨٣).
(٢) شرح الرَّضي على الكافية (١٨٨/٤)، فتح الباري (٥٥٩/٨)، الإتقان (٨٣/٣).
(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن [واللفظ له] ص (٣٧٦)، وأخرجه بنحوه: الطبري في تفسيره (٦٠٢/٢٣)، والحاكم في المستدرك: كتاب/ الأهوال (٦٥٢/٤) ح (٨٨٠٣) وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٤) تفسير عبد الرَّزاق (١٠٨/٢)، وينظر الكشف والبيان (٣٢٧/٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢٨٣/١٨)، الإتقان (٨٣/٣)، فتح القدير (٢٥١/٤)، روح المعاني (١٢٢/٢١)، قال ابن تيمية: " فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف، محمولةٌ = =على تحرجهم عن الكلام في التَّفسير بما لا علم لهم به، فأمَّا مَن تكلَّمَ بما يعلم مِن ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التَّفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلَّمُوا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كلِّ أحد؛ فإنَّه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه؛ لقوله–ﷻ–: **{لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ}** [آل عمران/١٨٧]، ولِمَا جاء في الحديث الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–ﷺ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–ﷺ–: **(مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**

**هذا:** وجاء عن ابن عباس-رضي الله عنه- أيضاً أنَّ يوم الألف هو مقدار سير الأمر وعروجه إلى الله-عز وجل-، ويوم الألف في سورة الحج هو أَحَدُ الأيام السِّتة التي خلق الله فيها السَّماوات
والأرض، ويوم الخمسين ألفا هو يوم القيامة(١).

وذهب بعضهم إلى أنَّ المراد بجميعها يوم القيامة، وأنَّ الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر؛ ويدل لهذا الوجه قوله-سبحانه وتعالى- **{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}** [المدثر/٩، ١٠](٢)، فهو يدل بمفهوم مخالفته على أنه يسير على المؤمنين غير عسير، كما دَلَّ عليه قوله-عز وجل-**{مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ}** [القمر/٨]، وعليه: فيوم القيامة يطول على الكافرين ويقصر على المؤمنين، ويشير لهذا قوله-جل جلاله- **{ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى ٱلْكَافِرِينَ عَسِيرًا}** [الفرقان/٢٦] فتخصيصه عُسْرِ ذلك اليوم بالكافرين: يدل على أنَّ المؤمنين ليسوا كذلك(٣)، ومما يؤيِّد ذلك ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم- قَالَ: **(يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَيَهُونُ ذَلِكَ الْيَوْمُ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ)**(٤).

---

" ا.هـ مجموع الفتاوى (٣٧٤/١٣، ٣٧٥)، والحديث أخرجه أبو داود في سننه [واللفظ له]: كتاب/ العلم، باب/ كراهية منع العلم (٣٦٠/٣) ح (٣٦٦٠)، والترمذي في جامعه: كتاب/ العلم، باب/ كتمان العلم (٢٩/٥) ح (٢٦٤٩) وقال: حديث حسن.

(١) ينظر الإتقان (٨٣/٣)، أضواء البيان (١٨٣/٦)، دفع إيهام الاضطراب ص (١٥٩)، التفسير الوسيط للطنطاوي (١٤٥/١١)، (٩٤/١٥).

(٢) ينظر الإتقان (٨٤/٣)، أضواء البيان (١٨٤/٦)، دفع إيهام الاضطراب ص (٢٠٧).

(٣) ينظر أضواء البيان (٢٧٨/٥) بتصرف، قال ابن عطية عند تفسير قوله-عز وجل- **{تَعْرُجُ ٱلْمَلائِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}** [المعارج/٤]: " وقد = =ورد في يوم القيامة أنه كألف سنة، وهذا يشبه أنْ يكون في طوائف دون طوائف" ا.هـ المحرر الوجيز (٣٦٥/٥).

(٤) إسناده صحيح: أخرجه أبو يعلى في مسنده [واللفظ له] (٤١٥/١٠) ح (٦٠٢٥)، وابن حبان في صحيحه: كتاب/ إخباره-صلى الله عليه وسلم- عن مناقب الصحابة، رجالهم ونسائهم بذكر

**هذا:** وقد ورد في بعض الأحاديث أنَّ يوم القيامة مقداره خمسين ألف سنة [كالحديث السابق]، وكحديث أَبِي هُرَيْرَةَ-ﷺ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله-ﷺ-: **(مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .....) الحديث**(١).

وورد أيضاً أنَّ نصف يومٍ فيه يعدل خمسمائة سنة، فاليوم على هذا بألف سنة: فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-ﷺ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ-: **(يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ)**(٢).

وذهب آخرون إلى أنَّ الله-ﷻ- يدبر الأمر من السَّمَاءِ إلى الأرض في مدة الدنيا، ثم يعرج إليه يوم القيامة، ويوم القيامة مقداره ألف سنة من عَدِّنَا، وهو على الكفار قدر خمسين ألف سنة لهوله وشناعته وشِدَّتِهِ ومشقته حسبما جاء في سورة المعارج(٣).

---

أسمائهم-ﷺ-، باب/ ذكر البيان بأنَّ الله-ﷻ- بتفضله يهون طول يوم القيامة على المؤمنين حتى لا يحسّوا منه إلا بشيء يسير (٣٢٨/١٦) ح (٧٣٣٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب/ الزكاة، باب/ إثم مانع الزكاة (٦٨٠/٢) ح (٩٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه [واللفظ له]: كتاب/ الزهد، باب/ مَا جَاءَ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ (٥٧٨/٤) ح (٢٣٥٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وابن ماجة في سننه: كتاب/ الزهد، باب/ منزلة الفقراء (١٣٨٠/٢) ح (٤١٢٢).

(٣) ينظر المحرر الوجيز (٣٥٨/٤).

وقيل: مواقف القيامة خمسون موقفاً، كُلُّ موقف ألف سنة(١)، فآية **{أَلْفَ سَنَةٍ}** بَيَّنَت أحدَ المواقفِ، وآية **{خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}** بَيَّنَت المواقفَ كُلَّهَا(٢)، والله-ﷻ- أعلم بمراده.

## ٢- ما جاء عن الحسن البصري- رحمه الله-

قال الرَّازِيُّ: " قوله-ﷻ- **{وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً }** [البقرة/٥١] يفيد أنَّ المواعدة كانت من أَوَّلِ الأمر على الأربعين، وقوله-ﷻ- في [الأعراف/١٤٢] **{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}** يفيد أنَّ المواعدة كانت في أول الأمر على الثلاثين، فكيف التوفيق بينهما ؟ أجاب الحسن البصري فقال: ليس المراد أنَّ وعده كان ثلاثين ليلة ثم بعد ذلك وعده بعشر، لكنه وعده أربعين ليلة جميعاً، وهو كقوله-ﷻ- **{فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ}** [البقرة/ ١٩٦] "(٣) ا.هـ

---

(١) ينظر معاني القرآن للنحاس (٣٠٠/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٨٧/١٤)، البحر المديد (٣٨٦/٥)، فتح القدير (٣١٢/٤)، روح المعاني (١٢١/٢١)، فتح البيان (١٥/١١).

(٢) ينظر حاشية الصاوي (٢١٧/٣).

(٣) التفسير الكبير (٤٨٥/٣)، وينظر البرهان (٤٥/٢)، قال القرطبي: " والفائدة في قوله-ﷻ- **{فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}** وقد علم أنَّ ثلاثين وعشرة أربعون، لئلا يتوهَّم أنَّ المراد أتممنا الثلاثين بعشر منها، فبين أنَّ العشر سوى الثلاثين " ا.هـ الجامع لأحكام القرآن (٢٧٥/٧)، وينظر النكت والعيون (٢٥٦/٢)، زاد المسير (٢٥٥/٣)، التفسير الكبير (٤٨٥/٣)، السراج المنير (١/ ٥٨٦)، فتح القدير (٢٤٢/٢)، وقيل: فائدة قوله-ﷻ- **{فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}** بيان أنَّ العَشْرَ ليالٍ، وأنها ليست بساعات، وبالجملة فتأكيد وإيضاح. معاني القرآن للنحاس (٧٤/٣)، النكت والعيون (٢٥٦/٢)، المحرر الوجيز (٤٥٠/٢)، نظم الدرر (١٠٧/٣).

وقيل: تجري آية الأعراف على ظاهرها من أنَّ الوعد كان ثلاثين ثم أتم بالعشر، فاستقرت الأربعون، ثم أخبر في آية البقرة بما اسْتَقَرَّ، وعليه: فقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة، وفَصَّلَهَا في سورة الأعراف(١).

وذلك أنَّ الله-ﷻ- ذكر ذلك الموعد في سورة [البقرة/٥١] بقوله-ﷻ- **{وَإِذْ وَاعَدْنا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}** وفي سورة [الأعراف/ ١٤٢] بقوله-ﷻ- **{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ}**، وسورة البقرة مدنية، وسورة الأعراف مكية، أي أنَّ ما ذكر في سورة الأعراف هو الذي نزل به القرآن أولاً، فجاء به مُفَصَّلاً: **{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ}**، ثم لَمَّا جاء ذِكْرُ هذا الموعد مَرَّةً أُخرى جاء مجملاً: **{وَإِذْ وَاعَدْنا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}**، وذلك بإحالة المجمل على المُفَصَّل(٢).

**وهاهنا سؤالان:**

**السُّؤَالُ الأَوَّلُ:** لِم أجمل الأربعين في سورة البقرة، وفصَّلَهَا في سورة الأعراف ؟ والجواب: أَنَّهُ أجمل الأربعين في سورة البقرة لأنَّ المراد بذلك السياق تذكير بني إسرائيل بالنعم الجسام، ليكون ذلك أدعى إلى رجوعهم إلى الإيمان وأمكن في نزوعهم عن الكفران بدليل ما سبق قصتهم مِن قوله-ﷻ-: **{يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [البقرة/٢١]، وقوله-ﷻ- **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ}** [البقرة/٢٨] وما اكتنفها أولاً وآخراً من قوله-ﷻ-: **{يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}** [البقرة/٤٧، ١٢٢]، وفَصَّلَ في سورة الأعراف الأربعين إلى ثلاثين وعشر، لأنَّ المراد بهذا السياق بيانُ كفرهم ومرودهم على مكرهم وعصيانهم، وأنه لم ينفعهم سؤال المعجزات، ولا أغنى عنهم شيئاً تواتر النعم والآيات، وتسليةٌ لهذا النَّبِيِّ الكريم، وترهيبٌ لقومه، والفصل بين السياقين يدق إلا عن أولي البصائر- والله أعلم-، فيكون المراد بتفصيل الأربعين هنا بيان أنَّ إبطاء موسى-عليه السلام- عما

(١) ينظر الكشاف (١٥١/٢)، مدارك التنزيل (١٠٨/٢)، لباب التأويل (٢٨١/٢)، البحر المحيط (٣٧٨/٤، ٣٧٩)، إرشاد العقل السليم (٢٦٩/٣)، روح المعاني (٤٣/٩)، قال ابن عطية: " وحيث ورد أنَّ المواعدة أربعون ليلة فذلك إخبارٌ بجملة الأمر، وهو في هذه الآية [من سورة الأعراف] إخبارٌ بتفصيله كيف وقع " ا.هـ المحرر الوجيز (٤٤٩/٢).

(٢) التفسير القرآني (٤٧٤/٥).

علموه من الميعاد إنَّمَا كان لعشرة أيام، فارتكبوا فيها هذه الجريمة النكراء التي هي أعظم الجرائم، فعبدوا العجل: **{وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ}** [الأعراف/١٤٨] ولم يسمعوا لقول هارون: **{يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُواْ أَمْرِي}** [طه/٩٠] فحادوا عن الطريق كما تَفَرَّسَ فيهم موسى–عليه السلام–، ولم يَذْكُروا عاقبة، فلا هُمْ سمعوا لأخيه في الصلاح، ولا هم انتظروا عَشرة أيام، فلا أخف منهم أحلاماً، ولا أشد على المعاصي إقداماً(١).

**السُّؤَالُ الثَّانِي:** ما الحكمة من التَّفْصِيلِ الوارد في سورة الأعراف **{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}** ؟ والجواب: أنَّ الله–عز وجل– قَدَّرَ هذا الموعد بأربعين ليلة في علمه الأزلي، ولكنَّه–سبحانه وتعالى– أعطى منها موسى–عليه السلام– أولاً ثلاثين ليلة، ثم أتمَّ عليه وعده، بما كشف له من سوابغ فضله، ومزيد نعمائه، بهذه الليالي العشر، التي وقعت من نفس موسى–عليه السلام– أكثر مما كان للثلاثين ليلة من وَقْعٍ في نفسه، إذ أنَّها جاءت على شوق ولهفة، ووقعت على غير انتظار وَتَوَقُّعٍ، وهكذا يكشف الله–جل جلاله–لأوليائه وأصفائه مِن ألطافه التي قدَّرها لهم في علمه، على هذا الأسلوب الذي يضاعف من آثارها، حين تجيء في أنسب الأحوال الداعية لها، وهذا ما يشير إليه قوله–عز وجل– للنبي الكريم–صلى الله عليه وسلم–: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا}** [الفتح/١، ٢]، وقوله–سبحانه وتعالى– على لسان يعقوب–عليه السلام– حين قال لابنه يوسف –عليه السلام–: **{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ}** [يوسف/٦] فإتمام النعمة هو البلوغ بها إلى غايتها، من التمام والكمال، وعليه: فهذه الليالي العشر تفضلٌ وإحسانٌ، ونعمةٌ إلى نعمة، فإنَّها– وإنْ بَدَتْ أنَّها نافلة– أوقعُ من الأصل، لأنَّها جاءت على غير انتظار، ووقعت أكثر مما كان يؤمَّل ويُرجى(٢)!

## ٣– ما جاء عن بعض العلماء

(١) ينظر نظم الدرر (١٠٧/٣) بتصرف.
(٢) ينظر التفسير القرآني (٤٧٥/٥) بتصرف.

قال أبو العباس أحمد بن سريج(١): سأل رجل بعض العلماء عن قوله–ﷻ– : **{لا أُقْسِمُ بِهَذَا ٱلْبَلَدِ}** [البلد/١]، فأخبر أَنَّهُ لا يقسم بهذا، ثُمَّ أقسم به في قوله–ﷻ– **{وَهَذَا ٱلْبَلَدِ ٱلأَمِينِ}** [التين/٣] ؟ فقال ابنُ سريج: أيُّ الأمرين أحبُّ إليك أُجِيبُكَ ثم أَقْطَعُكَ، أو أَقْطَعُكَ ثم أُجِيبُكَ ؟ فقال: بل اقْطَعْنِي ثم أَجِبْنِي، فقال: اعلم أنَّ هذا القرآن نزل على رسول الله–ﷺ– بحضرة رجال، وبين ظهراني قوم كانوا أحرص الخلق على أنْ يجدوا فيه مغمزاً وعليه مطعناً، فلو كان هذا عندهم مناقضة لَتَعَلَّقُوا به وأسرعوا بالردِّ عليه، ولكن القوم عَلِمُوا وجَهِلْتَ، فلم ينكروا منه ما أنكرت، ثم قال له: إنَّ العرب قد تدخل (لا) في أثناء كلامها وتلغي معناها(٢).

**وعليه:** فإدخال لفظة (لا) على القسم مستفيض في كلام العرب وأشعارهم، فتقول: لا والله، وتقول: لا وربِّ الكعبة، ويريدون: وَرَبّها، والقرآن نزل بلغتهم، قال امرؤ القيس الكندي(٣):

فَلاَ وَأَبِيك ابْنَةَ الْعَامِرِ  ي لاَ يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أفِرُّ

قالوا: وفائدتها: تأكيد القسم، كقولك: لا والله ما ذاك، تريد: والله ما ذاك، فيجوز حذفها، لكنه أبلغ في الرَّدِّ مع إثباتها(٤).

قال الشيخ محمد عبده – رحمه الله–: " قوله–ﷻ– **{لا أُقْسِمُ}** عبارة من عبارات العرب في القسم، يُرَادُ بها تأكيد الخبر "(١) ا.هـ

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، فقيه الشافعية في عصره، مولده ووفاته في بغداد، سمع الحسن بن محمد الزعفراني، وعباس بن محمد الدوري، وأبا داود السجستاني، وروى عنه أبو القاسم الطبراني، وأبو الوليد حسان بن محمد الفقيه، توفي سنة ٣٠٦هـ. ينظر الوافي بالوفيات(٧ /١٧٠، ١٧١)، العبر في خبر من غبر(١/٤٥٠)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/٢١) وما بعدها.

(٢) البرهان (٢/٤٦)، الإتقان (٣/٨٨)، التعريف ببعض علوم الإسلام الحنيف ص (٢٦).

(٣) ديوان امرئ القيس ص (٦٨)، معجم مقاييس اللغة/ دعو (٢/٢٨٠)، الصحاح/ وجه (٦/٢٢٥٥)، لسان العرب/ وجه (١٣/٥٥٥)، مغني اللبيب (١/٣٢٩)، تاج العروس/ سند (٨/٢١٩).

(٤) ينظر الكشاف (٤/٦٥٨)، لباب التأويل (٧/١٨١)، روح المعاني (٢٩/١٣٥، ١٣٦).

## ثامناً/ الأسبابُ المُوهِمَةُ الاخْتِلاف

## السَّبَبُ الأَوَّلُ: وُقُوعُ المُخْبَرِ بِهِ عَلَى أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ

وفيما يلي مثالان على ذلك:

### المِثَالُ الأَوَّلُ

قولـه-ﷻ- فـي خلـق آدم إنَّـهُ: **{مِـنْ تُـرَابٍ}** [آل عمـران/٥٩] وَمَـرَّةً **{مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ}** [الحجر/٢٦] وَمَرَّةً **{مِنْ طِينٍ لازِبٍ}** [الصافات/١١] وَمَرَّةً **{مِنْ صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ}** [الرحمن/١٤] وهذه الألفاظ مختلفة، ومعانيها في أحوال مختلفة، لأن الصَّلْصَالَ غَيْرُ الحَمَأِ، والحَمَأُ غَيْرُ التُّرَابِ، إلا أَنَّ مرجعها كلها إلى جوهر، وهو التُّرَابُ، ومن التُّرَابِ تَدَرَّجَتْ هذه الأحوال(٢).

**وعليـه:** فلا منافاة بين هذه الآيات، لأن التُّرَابَ جُعِلَ طيناً، ولَمَّا اختلط بالماء وعجن صار لازباً، ولما اختمر صار حمأ، فلما زادت خمرته صار مسنوناً، فلما يبس صار صلصالاً(٣)، قال الشنقيطي: " اعلم أنَّ الله-ﷻ- أوضح في كتابه أطوار هذا الطِّين الذي خلق منه آدم، فَبَيَّنَ أنَّه أولاً تراب، بقوله-ﷻ-: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللَّـهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ}** [آل عمران/٥٩]، وقوله-ﷻ-: **{يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ}** [الحج/٥]، وقوله-ﷻ-: **{هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ}** [غافر/٦٧]، إلى غير ذلك من الآيات، ثم أشار إلى أنَّ ذلك التُّرَابَ بُلَّ فصار طيناً يعلق بالأيدي في

---

(١) تفسير جزء عم ص (٢٤).
(٢) البرهان (٢/٥٤، ٥٥).
(٣) ينظر الكشاف (٤/٤٤٥)، زاد المسير (٨/١١٠)، التفسير الكبير (٢٩/٣٥٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٦٠، ١٦١)، مدارك التنزيل (٤/٣٠٨)، لباب التأويل (٤/٧)، اللباب في علوم الكتاب (١٨/٣١٣)، السراج المنير (٢/٢٢٤)، (٤/١٦٢).

مواضـع أُخَـر، كقولـه-ﷻ-: **{إِنَّـا خَلَقْنَـاهُمْ مِـنْ طِـينٍ لازِبٍ}** [الصـافات/١١]، وقولـه-ﷻ-: **{وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا ٱلإِنْسَـانَ مِـنْ سُـلالَةٍ مِـنْ طِـينٍ}** [المؤمنـون/١٢]، وقولـه-ﷻ-: **{وَبَـدَأَ خَلْـقَ ٱلإِنْسَـانِ مِـنْ طِـينٍ}** [السـجدة/٧]، إلـى غير ذلك من الآيـات، وبَـيَّنَ أن ذلك الطِّين أسود وأنـه متغير بقولـه-ﷻ-: **{حَمَـأٍ مَسْـنُونٍ}**، وبَـيَّنَ أيضـاً أنَّـه يبس حتـى صـار صلصـالاً، أي: تسمع لـه صلصلة من يبسـه بقولـه-ﷻ-: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ}** [الحجر/٢٦]، وقولـه-ﷻ-: **{خَلَـقَ ٱلإِنْسَـانَ مِـنْ صَلْصَـالٍ كَالْفَخَّـارِ}** [الرحمن/١٤]، والعلم عند الله-ﷻ- "[1] ا.هـ

**وعليه:** فالآيات يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضَاً، وَيَتَبَيَّنُ فيها أطوار ذلك التُّراب؛ كما لا يخفى[2]، والمقصود من هذه الآيات الكريمة التَّنبيه على عجيب صنع الله-ﷻ- وعظيم قدرتـه، حيث أخرج-ﷻ- من هذه المواد بَشَـرَاً سَـوِيَّاً فـي أحسن تقويم[3].

## المِثَالُ الثَّانِي

قولـه-ﷻ-: **{فَـأَلْقَى عَصَـاهُ فَـإِذَا هِـيَ ثُعْبَـانٌ مُبِـينٌ}** [الأعـراف/١٠٧، الشعراء/٣٢]، وفي موضع **{فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا}** [النمل/١٠، القصص/٣١]، والجَانُّ: الصَّغِيرُ من الحَيَّات، والثُّعبان: الكبير منها، وذلك لأنَّ خَلْقَهَا خَلْقُ الثُّعبانِ العظيمِ، واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخِفَّتِهِ[4].

**وعليه:** فلا تنافي بين الأوصاف الواردة في قوله-ﷻ- **{فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ}** وقولـه-ﷻ- **{فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى}** [طه/٢٠] وقولـه-

---

([1]) أضواء البيان (٢/٢٧٥).
([2]) المرجع السابق (٧/٤٩٩).
([3]) التفسير الوسيط للطنطاوي (٨/٣٧).
([4]) ينظـر معـاني القـرآن للزجـاج (٤/٨٨)، معـاني القـرآن للنحـاس (٥/٧٥)، بحـر العلـوم (٢/٥٧٤)، تفسـير السـمعاني (٤/٤٣، ٤٤)، البحـر المحـيط (٧/٥٥)، اللبـاب فـي علـوم الكتاب (١٥/٢٢)، السراج المنير (١/ ٥٧٣، ٥٧٤)، روح البيان (٦/٢٧٠)، روح المعاني (١٦/١٧٧)، بيان المعاني (١/٣٩٣).

ﷺ- **{فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا}** لأنَّ الحَيَّةَ: اسم جنس يطلق على الصَّغِيرِ والكبيرِ والذَّكْرِ والأنثى، والثُّعْبانُ: هو العظيمُ منها، والجَانُّ: هو الحَيَّةُ الصَّغيرةُ الجِسم، السريعة الحركة(١).

ومن هذه الأوصاف جميعها تلبس الحيَّةُ صورة كاملة للحيَّةِ في ضخامتها وحيويتها، وخِفَّةِ حركتها، فهي (حيَّةٌ) في ضخامة جسمها، وهي (ثعبان عظيم) في الحياة التي تلبس هذا الكيان الضخم، وهى (جَانٌّ) في سبحها على الأرض في خِفَّةٍ، كأنَّهَا سهمٌ منطلق(٢) !

وهناك أوجهٌ أُخرى في الجمع بين هذه الأوصاف أورها صاحب رموز الكنوز حيث قال: " وَصْفُهَا بأَنَّهَا ثعبانٌ أو جَانٌّ لا يخلو إمَّا أنْ يكون حال انقلابها حَيَّة كأنها جانٌّ، ثُمَّ يتزايد جِرْمها حتى يصير ثعباناً، فهي جانٌّ في الابتداء، ثعبانٌ في الانتهاء، وإمَّا أن تكون في شخص الثُّعبان وسرعة حركة الجانَّ، وإما أنْ يتنوع انقلابها، تارة تنقلب جانَّاً، وتارة ثعباناً "(٣) ا.هـ

(١) ينظر التفسير الكبير(٥٠١/٢٤)، اللباب في علوم الكتاب(٢٢/١٥)، التفسير الوسيط للطنطاوي (٩٧/٩).
(٢) التفسير القرآني (٣٤٢/١٠).
(٣) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤٩٧/٤).

## السَّبَبُ الثَّانِي: اخْتِلافُ المَوْضُوعِ

وفيما يلي أربعة أمثلة على ذلك:

### المِثَالُ الأَوَّلُ

قوله–ﷻ– **{فَلَنَسْأَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ}** [الأعراف/٦]، فهذه الآية الكريمة تَدُلُّ على أنَّ الله–ﷻ– يسأل جميع الناس يوم القيامة، ونظيرها قوله–ﷻ–: **{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [الحجر/٩٢، ٩٣]، وقوله–ﷻ–: **{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ}** [الصافات/٢٤]، وقوله–ﷻ–: **{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ}** [القصص/٦٥]، وقد جاءت آيات أُخر تدل على خلاف ذلك كقوله–ﷻ–: **{فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَآنٌّ}** [الرحمن/٣٩]، وكقوله–ﷻ–: **{وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ}** [القصص/٧٨].

**والجواب عن هذا من سبعة أوجه:**

**الوَجْهُ الأَوَّلُ**– وهو أوجهها، لدلالة القرآن عليه–: أنَّ السُّؤال قسمان: سؤال توبيخ وتقريع، وسؤال استخبار واستعلام، فالمثبت هو سؤال: التَّوبيخ والتَّقريع، والمنفي هو سؤال: الاستخبار والاستعلام(١)، قال ابن عباس–رضي الله عنهما–: " لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا ؟ لأنه–ﷻ– أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لهم: لِمَ عملتم كذا وكذا ؟ "(٢).

---

(١) ينظر جامع البيان (٣٠٧/١٢)، معاني القرآن للنحاس (١٠/٣)، بحر العلوم (٣٦٤/٣)، الكشاف (٤/ ٤٥٠)، التفسير الكبير (٣٦٦/٢٩)، اللباب في علوم الكتاب (٤٩٤/١١)، غرائب القرآن (٢٠٢/٣)، السراج المنير (١٧٠/٤، ١٧١)، روح البيان (٤٨٩/٤)، البحر المديد (٢٧٦/٧)، فتح القدير (١٣٨/٥)، روح المعاني (١٢١/٢٠)، أضواء البيان (٥٠٣/٧)، دفع إيهام الاضطراب ص (١٠٠)، التحرير والتنوير (٢٦٢/٢٧)، وبه قال ابن عباس: ينظر الجامع لأحكام القرآن (٦١/١٠)، البحر المحيط (١٩٤/٨)، معالم التنزيل (٤٥٠/٧)، لباب التأويل (٨/٧)، روح البيان (٣٠٢/٩)، روح المعاني (١١٤/٢٧)، وقاله قطرب: ينظر الكشف والبيان (٣٥٤/٥)، معالم التنزيل (٣٩٤/٤)، لباب التأويل (٧٥/٤، ٧٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٠/١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٧٤/٧)، وينظر الكشف والبيان (٣٥٤/٥)، (١٨٨/٩)، معالم التنزيل (٣٩٤/٤)، (٤٥٠/٧)، المحرر الوجيز (٣٧٥/٣)، زاد المسير (٤/ ٤٢٠)، البحر المحيط (٤٥٤/٥)، تفسير القرآن العظيم (٥٥١/٤)، (٤٩٩/٧)، الجواهر الحسان (٣٠١/٢)، لباب التأويل (٧٥/٤)، روح البيان (٣٠٢/٩).

قال الشنقيطي: " اعلم أولاً: أنَّ السُّؤالَ المنفي في قوله-ﷻ- هنا: **{فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَآنٌّ}** [الرحمن/٣٩]، وقوله-ﷻ-: **{وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}** [القصص/٧٨]، أخصُّ من السُّؤال المثبت في قوله-ﷻ-: **{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [الحجر/٩٢، ٩٣]، لأنَّ هذه فيها تعميم السُّؤالِ في كلِّ عملٍ، والآيتان قبلها ليس فيهما نفي السُّؤال إلا عن الذنوب خاصة، وللجمع بين هذه الآيات أوجه معروفة عند العلماء: الأَوَّلُ منها: وهو الذي دَلَّ عليه القرآن- وهو محل الشَّاهد عندنا من بيان القرآن بالقرآن هنا-: أنَّ السُّؤالَ نوعان: أحدهما: سؤال التوبيخ والتقريع، وهو من أنواع العذاب، والثاني: هو سؤال الاستخبار والاستعلام، فالسُّؤالُ المنفي في بعض الآيات هو سؤال الاستخبار والاستعلام، لأنَّ الله-ﷻ- أعلمُ بأفعالهم منهم أنفسهم، كما قال-ﷻ-: **{أَحْصَاهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ}** [المجادلة/٦]، وعليه فالمعنى: **{لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَآنٌّ}** سؤال استخبار واستعلام، لأنَّ اللهَ أعلمُ بذنبه منه، والسُّؤال المثبت في الآيات الأخرى هو سؤال التوبيخ والتقريع، سواء كان عن ذنب أو غير ذنب.....، أما سؤال الموءودة في قوله-ﷻ-: **{وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ}** [التكوير/٨] فلا يعارض الآيات النافية السُّؤال عن الذَّنب، لأنَّها سُئلت عن أيِّ ذنب قُتِلَتْ ؟ وهذا ليس من ذنبها، والمراد بسؤالها توبيخ قاتلها وتقريعه، لأنَّها هي تقول لا ذنب لي، فيرجع اللوم على مَنْ قتلها ظلماً، وكذلك سؤال الرُّسُلِ، فإنَّ المراد به توبيخُ مَن كَذَّبَهُم وتقريعه، مع إقامة الحُجَّةِ عليه بأنَّ الرُّسُلَ قد بلغته "(١) ا.هـ

**الوَجْهُ الثَّانِي:** أنَّ في القيامة مواقف متعدِّدة، ففي بعضها يسألون، وفي بعضها لا يسألون(٢)، وعليه: فالإثبات ينصرف إلى بعض الأوقات، والنفي إلى وقت

(١) أضواء البيان (٥٠٣/٧، ٥٠٤).

(٢) ينظر بحر العلوم (١٧٧/٣)، الكشاف (٤٥٠/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٦١/١٠)، التفسير الكبير (٣٦٦/٢٩)، تفسير القرآن العظيم (٤٩٩/٧)، تفسير الجلالين ص (٧١١)، السراج المنير (١٧١/٤)، البحر المديد (٢٧٦/٧)، فتح القدير (١٣٨/٥)، روح المعاني (١٢١/٢٠)، دفع إيهام الاضطراب ص (١٠٠)، التفسير الوسيط للطنطاوي (٢٤٧/٥)، ونُسِبَ هذا القول في لباب التأويل (٧٦/٤): إلى ابن عباس، وفي الكشف والبيان (٣٥٤/٥)، معالم التنزيل (٣٩٥/٤)، زاد المسير (٤٢٠/٤): إلى ابن عباس من رواية عكرمة، وفي الجامع لأحكام القرآن (١٧٤/١٧)، اللباب في علوم الكتاب (٣٣٧/١٨): إلى عكرمة، وفي البحر المحيط (١٩٤/٨)، روح المعاني (١١٤/٢٧): إلى عكرمة وقتادة.

آخر، لأنَّ يوم القيامة يوم طويل، وفيه مواقف يسألون في بعضها، ولا يسألون في بعض آخر، ونظيره قوله-ﷻ-:
**{هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ}** [المرسلات/٣٥]، وقال-ﷻ- في آية أخرى: **{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}** [الزمر/٣١](١).
**الوَجْهُ الثَّالِثُ:** هو ما ذكره الْحَلِيْمِيُّ(٢) مِن أنَّ إثباتَ السُّؤالِ محمولٌ على السُّؤال عن التَّوحيد وتصديق الرُّسل، وعدم السُّؤال محمول على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه، ويدل لهذا قوله-ﷻ-: **{فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ}** [القصص/٦٥]، والعلم عند الله-ﷻ-(٣).

**الوَجْهُ الرَّابِعُ:** قيل: قوله-ﷻ- **{فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَآنٌّ}** إذا كان المُذْنِبُ مُكْرَهاً مُضْطَرّاً، وقوله-ﷻ- **{لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ}** إذا كانوا مختارين(٤).

**الوَجْهُ الخَامِسُ:** قيل: لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان لأنَّهُم يُعرفون بسيماهم، وذلك أول ما يخرجون من القبور، ويحشرون إلى الموقف فَوْجَاً فَوْجَاً على اختلاف مراتبهم، وأمَّا قوله -ﷻ- **{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ}** ونحوه: ففي موقف المناقشة والحساب(٥).

---

(١) ينظر اللباب في علوم الكتاب (٤٩٤/١١)، السراج المنير (٢٣٩/٢).
(٢) هو الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَلِيْمِيُّ البخاري الجرجاني، فقيه، ومحدث، وقاض، مولده بجرجان، ووفاته في بخارى، من مؤلفاته: شُعَبُ الإيمَانِ، وآيات الساعة وأحوال القيامة، توفي سنة ٤٠٣هـ. ينظر تذكرة الحفاظ (١٥٦/٣، ١٥٧)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٧٩/١)، شذرات الذهب (١٦٦/٣).
(٣) ينظر قول الْحَلِيْمِيّ في البرهان (٥٥/٢)، الإتقان (٨٥/٣)، دفع إيهام الاضطراب ص (١٠٠، ١٠١).
(٤) الكشف والبيان (٣٥٤/٥).
(٥) ينظر أنوار التنزيل (٢٧٩/٥)، إرشاد العقل السليم (١٨٢/٨)، روح البيان (٣٠٢/٩)، البحر المديد (٧/ ٢٧٦)، فتح القدير (١٣٨/٥)، روح المعاني (١١٤/٢٧)، التفسير الواضح (٥٨٧/٣).

**الوَجْـهُ السَّـادِسُ:** قيل: لا يُسأل إذا كان الذَّنْبُ في حال الصِّبَا أو الجنون أو النَّوم، بيانه في حديث عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: **(رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنْ النَّـائِمِ حَتَّـى يَسْـتَيْقِظَ، وَعَـنْ الصَّـبِيِّ حَتَّـى يَحْـتَلِمَ، وَعَـنْ الْمَجْنُـونِ حَتَّـى يَعْقِلَ)**(١)، وأمَّا قوله-ﷻ-**{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}** فإذا كان عملهم خارجاً من هذه الأحوال(٢).

**الوَجْـهُ السَّـابِعُ:** قيل: إنَّ المنفي هو السُّؤال عن الذَّنْبِ نفسه، والمثبت هو السُّؤال عن الباعث عليه(٣)، قال الألوسي: " وأنت تعلم أنَّ في الآيات ما يدل على السُّؤال عن نفس الذَّنْبِ "(٤) ا.هـ

## المِثَالُ الثَّانِي

قوله-ﷻ-: **{وَلا يُكَلِّمُهُمُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ}** [البقرة/١٧٤] مع قوله-ﷻ-: **{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}** [الحجر/٩٢، ٩٣].

**إنْ قيل:** قوله-ﷻ-: **{وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ}** يَدُلُّ بظاهره على أنَّ الله لا يُكَلِّمُ الكفار يوم القيامة؛ لأنَّ قوله-ﷻ- **{وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ}** فعلٌ في سياق النفي، وقد تَقَرَّرَ في علم الأصول أنَّ الفعل في سياق النفي، مِن صيغ العموم، وقد جاءت آياتٌ أُخر تدل على أنَّ اللهَ -ﷻ- يُكَلِّمُ الكفار يوم القيامة، كقوله-ﷻ- **{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}** وقوله-ﷻ- **{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا**

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه: كتاب/ الطلاق، باب/ طلاق المعتوه والصغير والنَّائم (٦٥٨/١) ح (٢٠٤١)، وأحمد في مسنده [واللفظ له] (٢٢٤/٤١) ح (٢٤٦٩٤)، وابن حبان في صحيحه: كتاب/ الإيمان، باب/ التكليف (٣٥٥/١) ح (١٤٢)، والحاكم في المستدرك: كتاب/ البيوع (٦٧/٢) ح (٢٣٥٠) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذَّهبي.
(٢) الكشف والبيان (٣٥٤/٥).
(٣) ينظر غرائب القرآن (٢٠٢/٣)، روح المعاني (١١٤/٢٧).
(٤) روح المعاني (١١٤/٢٧).

**مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ . قَالَ ٱخْسَؤُواْ فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ}** [المؤمنون/١٠٧، ١٠٨].

**فالجواب عن هذا من وجوه أربعة:**

**الوَجْهُ الأَوَّلُ**- وهو الرَّاجِحُ-: أنَّ الكلام الذي نَفَى اللهُ-ﷻ- أنَّهُ يكلمهم به، هو الكلام الذي فيه خير، وأما التوبيخ والتقريع والإهانة فكلام الله-ﷻ- لهم به من جنس عذابه لهم([1])، وعليه: فالمنفي كلام التلطُّف والإكرام، والمثبت سؤال التَّوبيخ والإهانة، فلا تَنَافِي([2])، فالله -ﷻ- لا يكلِّمهم تكليم تكريم ٍوتحيَّةٍ وخير وسلامٍ، وٍإنَّما يكلِّمهم بما يعظم عندهم من الغمِّ والحسرة من المناقشة والمساءلة كقوله-ﷻ-{**ٱخْسَؤُواْ فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**}[المؤمنون/١٠٨]([3]).

**الوَجْهُ الثَّانِي:** أنَّ الله-ﷻ- لا يكلِّمهم أصلاً، وإنما تكلِّمهم الملائكة بإذنه-ﷻ- وأمره([4])، قال أبو حَيَّان: " قوله-ﷻ- **{وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ}** ظاهره نفي الكلام مطلقاً، أعني مباشرتهم بالكلام، فيكون ما جاء في القرآن، أو في السنة، مما ظاهره أنه-ﷻ- يحاورهم بالكلام، متأولاً بأنه يأمر مَنْ يقول لهم ذلك "([5]) ا.هـ، وعليه: فيكون السؤال من الملائكة بأمرٍ من الله-ﷻ-، وإنَّما كان عدَمُ تكليم الله-ﷻ- الكفار في مَعْرِضِ التَّهْديد؛ لأَنَّ يومَ القيامة هُو اليَوْمُ الذي يُكلِّمُ اللهُ-ﷻ- فيه كلَّ الخلائق بلا واسطةٍ، فيظهر عند كلامِهِ السُّرُورُ في أوليائه، وضده في أعدائِهِ، ويتميَّز أهلُ الجَنَّة بذلك من أهلِ النار، فلا جَرَم كان ذلك من أعظَمِ الوعيد([6]).

---

([1]) دفع إيهام الاضطراب ص (٢٨).
([2]) البرهان (٥٥/٢)، روح البيان (٣٠٦/١٠).
([3]) التفسير الكبير (٢٠٤/٥)، اللباب في علوم الكتاب (١٨٦/٣)، وينظر جامع البيان (٣٣٠/٣)، البحر المحيط (٦٦٧/١).
([4]) ينظر إعراب القرآن للنحاس (٣٨٩/١)، التفسير الكبير (٢٠٤/٥)، اللباب في علوم الكتاب (١٨٦/٣)، السراج المنير (١٣٠/١)، روح المعاني (٤٤/٢)، دفع إيهام الاضطراب ص (٢٨).
([5]) البحر المحيط (٦٦٧/١).
([6]) ينظر التفسير الكبير (٢٠٤/٥)، اللباب في علوم الكتاب (١٨٦/٣، ١٨٧).

**الوَجْـهُ الثَّالِـثُ:** أنَّ اللهَ-ﷻ- لا يكلِّمهم بطريق الرَّحمة، غضباً عليهم، فليس المراد به نفي الكلام حقيقة لئلا يتعارض مع قوله-ﷻ- **{فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}** [الحجر/٩٢] ونحوه، بل هو كناية عن الغضب، لأنَّ نفي الكلام لازم للغضب عرفاً، وعادة الملوك عند الغضب أنَّهم يُعرضون عن المغضوب عليهم ولا يُكلمونهم، كما أنَّهم عند الرضا يتوجهون إليهم بالحديث(١).

**الوَجْـهُ الرَّابِـعُ:** أنَّ ذلك في أحوال خاصة بيوم القيامة، لأنَّ للقيامة مواطن، فموطنٌ يكون فيه سؤالٌ وكلامٌ، وموطنٌ لا يكون ذلك فيه(٢)، وقيل غير ذلك.

## المِثَالُ الثَّالِثُ

قوله-ﷻ-: **{وَجَـزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَـا}** [الشورى/٤٠] مع قوله-ﷻ-: **{يُضَاعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ}** [هود/٢٠].

**إن قيل:** ما وجه مضاعفة العذاب، وقد نَصَّ الله-ﷻ- على أنَّ مَنْ جاء بالسَّيئة لا
يُجزي إلا مثلها، قال-ﷻ-: **{مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰٓ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}** [الأنعام/١٦٠]، وقال-ﷻ-: **{وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا}** [الشورى/٤٠] ؟ **فالجواب من وجوه أربعة:**

**الوَجْهُ الأَوَّلُ:** أنَّ التَّضعيف هنا ليس على حد التَّضعيف في الحسنات، بل هو راجع لتضاعيف مرتكباتهم، فكان لكلٍّ مُرْتَكِبٍ منها عذابٌ يَخُصُّه، فليس التَّضعيف من هذا الطريق على ما هو في الطريق الآخر، وإنَّمَا المراد هنا تكثيره بحسب كثرة المجترحات، لأنَّ السيئة الواحدة يُضَاعَفُ الجزاءُ عليها بدليل سياق

(١) ينظر روح البيان (٢٧٨/١)، وينظر التفسير الكبير (٢٠٤/٥)، اللباب في علوم الكتاب (١٨٧/٣)، الجواهر الحسان (١٣١/١)، السراج المنير (١٣٠/١)، تفسير المنار (٨٥/٢)، التحرير والتنوير (١٢٤/٢).

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن (٦١/١٠)، نظم الدرر (٦٢٤/٢)، التفسير المنير للزحيلي (٧٦/١٤، ٧٧).

تلك الآيـة، وهـو قولـه–ﷻ–: **{وَمَـنْ أَظْلَـمُ مِمَّـنِ ٱفْتَـرَى عَلَـى ٱللَّـهِ كَـذِباً أُولَئِـكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلأَشْهَادُ هَؤُلاءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَـةُ ٱللَّـهِ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ . ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِٱلآخِرَةِ هُمْ كَـافِرُونَ}** [هود/١٨، ١٩] فهؤلاء كَذَبُوا على رَبِّهِم، وصَدُّوا عن سبيله، وبَغُوهَا عِوَجَاً، وكفروا بالآخرة، فهذه مُرتكبات عُذِّبُوا بكل مُرْتَكَبٍ منها، ويدلُّ عليه نسبته إلى الموصوفين بما ذكر من الصفات(١).

**الوَجْـهُ الثَّـانِي:** أَنَّـهُ يُضَـاعَفُ لهـم العـذابُ يـوم القيامـة، لأنهـم يُعَـذَّبُونَ علـى ضـلالهم، ويُعَـذَّبُونَ أيضـاً علـى إضـلالهم غيـرهم، كمـا أوضـحه قولـه–ﷻ–: **{لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَـةً يَـوْمَ ٱلْقِيَامَـةِ وَمِـنْ أَوْزَارِ ٱلَّـذِينَ يُضِـلُّونَـهُم بِغَيْـرِ عِلْـمٍ}** [النحل/٢٥](٢).

واستصوب الرَّازِيُّ هذا الوجه قائلاً: " والأصوب أنْ يُقال: إنهم مع ضلالهم الشديد، سعوا في الإضلال ومَنْعِ النَّاس عن الدِّينِ الحَقِّ، فلهذا المعنى حصل هذا التَّضعيف عليهم "(٣) ا.هـ، وعليه: فالذي يفعل السَّيئة يكون أسْوة في المجتمع تُجَرِّئُ الغير على ارتكابها؛ لذلك عليه وزْرها كفاعل أولاً، وعليه وِزْر مَن اقتدى به ثانياً، قال–ﷻ–: **{لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ}** [النحل/٢٥]، وقال–ﷻ–: **{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ}** [العنكبوت/١٣]، فالوِزْرُ الأَوَّلُ لِضَلالِهِم في أنفسهم، والوِزْرُ الآخَرُ لأنَّهُم أضلُّوا غيرهم، وهذا هو المراد بمضاعفة

(١) البرهان (٥٦/٢)، وينظر حاشية الشهاب (٨٦/٥)، بيان المعاني (١٠٩/٣).
(٢) أضواء البيان (١٧٥/٢)، وينظر اللباب في علوم الكتاب (٤٦٠/١٠)، درة التنزيل وغرة التأويل ص (٢٣٨)، مدارك التنزيل (٢٦٣/٢)، غرائب القرآن (١٣/٤)، تفسير الجلالين ص (٢٨٧)، السراج المنير (٥٧/٢)، رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (١٣٩/٣)، أيسر التفاسير (٥٣٣/٢)، التفسير المنير للزحيلي (٥١/١٢)، تفسير السعدي ص (٣٧٩)، تفسير الشيخ المراغي (٢١/١٢).
(٣) التفسير الكبير (٣٣٥/١٧).

العذاب(١)،ففي الحديث الصحيح أنَّ رسول الله-ﷺ- قال: **(مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)**(٢)، وإنَّمَا أُخِذَ بعمل غيره لأنَّهُ هو الذي سَنَّهُ وتَسَبَّبَ فيه، فعُوقب عليه من هذه الجهة، لأنَّه من فِعْله.

**الوَجْهُ الثَّالِثُ:** أنَّ قوله-ﷻ- **{يُضَاعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ}** في رؤساء أهل الشرك، وتضعيف العذاب عليهم بتضليل الأتباع ودعائهم إيَّاهُم إلى شركهم(٣).

وقد بَيَّنَ الله-ﷻ- في موضع آخر، أنَّ العذاب يضاعف للأتباع والمتبوعين، وهو قوله-ﷻ- **{حَتَّى إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلآءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ}** [الأعراف/٣٨](٤)، ولم يُبين في هذه الآية السَّبب الذي مَكَّنَهُم من إضلالهم، ولكنَّه بَيَّنَ في موضع آخر: أن السَّبب الذي مَكَّنَهُم من ذلك هو كونهم سادتهم وكبراءهم، ومعلوم أنَّ الأتباع يطيعون السَّادة الكبراء فيما يأمرونهم به، وهو قوله-ﷻ-: **{وَقَالُواْ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلا. رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ}** [الأحزاب/٦٧، ٦٨]، وبسط ذلك في سورة [سبأ/ ٣١-٣٣] بقوله-ﷻ-: **{وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا ٱلْقُرْآنِ وَلا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ ٱلظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ. قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ ٱلْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ**

---

(١) تفسير الشعراوي (١٠٥١٣/١٧، ١٠٥١٤).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب/ الزكاة، باب/ الحثّ على الصَّدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٧٠٤/٢) ح (١٠١٧).
(٣) تفسير السمعاني (٤٢١/٢)، وينظر معاني القرآن للفراء (٨/٢)، بحر العلوم (١٤٤/٢)، زاد المسير (٩٠/٤).
(٤) أضواء البيان (١٧٥/٢).

**مُجْرِمِينَ . وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**(١).

**الوَجْـهُ الرَّابِـعُ:** قيل سبب تضعيف العذاب في حَقِّهِم: أَنَّهُم كفروا بالله–ﷻ– وبالبعث وبالنشور، فكفرهم بالمبدأ والمعاد صار سبباً لتضعيف العذاب(٢).

## المِثَالُ الرَّابِعُ

قوله–ﷻ–: **{ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}** [الأنعام/٢٣] مع قوله–ﷻ–: **{وَلا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا}** [النساء/٤٢].

**إن قيل:** وردت آياتٌ تَدُلُّ على أنَّ الكُفَّارَ يكتمون يوم القيامة ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي، كقوله–ﷻ– عنهم: **{وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}** [الأنعام/٢٣]، وقوله–ﷻ–: **{فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ}** [النحل/٢٨]، ونحو ذلك، مع أنَّ الله–ﷻ– صَرَّحَ بِأَنَّهُمْ لا يكتمون حديثاً في قوله: **{وَلا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا}** [النساء/٤٢].

**فالجواب من وجهين:**

**الوَجْهُ الأَوَّلُ:** أَنَّ الكُفَّارَ يقولون بألسنتهم: **{وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}**؛ فيختم الله–ﷻ– على أفواههم؛ وتتكلَّمُ أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، فالكتم باعتبار النطق بالجحود وبالألسنة، وعدم الكتم باعتبار شهادة أعضائهم عليهم(٣)، وبهذا جمع ابن عباس–ﷺ– بين الآيتين، فقد روى ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: أتى رجلٌ ابنَ عباس–ﷺ– فقال: سمعت الله–ﷻ– يقول **{وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا**

(١) أضواء البيان (١٤/٢).
(٢) التفسير الكبير(٣٣٥/١٧)، وينظر معاني القرآن للزجاج (٤٥/٣)، اللباب في علوم الكتاب (٤٦٠/١٠)، السراج المنير (٥٧/٢).
(٣) أضواء البيان (٣٦٩/٢)، وينظر البرهان (٥٦/٢)، دفع إيهام الاضطراب ص (٦٤)، الأصلان في علوم القرآن ص (٩٢)، أيسر التفاسير (٤٨١/١).

**مُشْرِكِينَ}**، وقال في آية أخرى: **{وَلاَ يَكْتُمُونَ ٱللهَ حَدِيثًا}**، فقال ابنُ عباسٍ: (أَمَّا قولـه: **{وَٱللَّـهِ رَبِّنَـا مَـا كُنَّـا مُشْرِكِينَ}**، فإِنَّهُمْ لَمَّا رأوا أنَّه لا يدخل الجنة إلا أهلُ الإسـلام قـالوا: " تعـالوا فلنجحـد " ! فقـالوا: **{وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}** ! فَخَتَمَ اللهُ على أفواههم، وتكلَّمت أيديهم وأرجلهم، فلا يكتمون اللهَ حديثاً)([1]).

وهذا الجمع يشير إليه قوله-ﷻ-: **{ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}** [يس/٦٥]([2]).

وروى مسلمٌ عن أنس بن مالك -ﷺ- قال: **(كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَضَحِكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ)**([3]).

**الوَجْهُ الثَّانِي:** أنَّ القيامة مواطن، ففي موطنٍ لا يتكلمون ولا تسمع إلا همسا، وفي موطنٍ يتكلَّمون ويقولون: والله ربِّنا ما كُنَّا مشركين، إلى غير ذلك من اختلاف أحوالهم([4])، قال الحسن البصري- رحمه الله-: (إنَّهَا مواطن، ففي موطنٍ لا يتكلمون ولا تسمع إلا همساً، وفي موطنٍ يتكلمون ويكذبون ويقولون: **{وَاللَّـهِ**

---

([1]) جامع البيان (٣٧٣/٨) الأثر (٩٥٢٠)، وينظر التسهيل (٢٥٧/١)، البحر المديد (٢/ ١٠٧)، المحرر الوجيز (٢٧٨/٢)، البحر المحيط (١٠٠/٤)، تفسير الشيخ المراغي (٩٦/٧).

([2]) دفع إيهام الاضطراب ص (٦٤).

([3]) صحيح مسلم: كتاب/ الزهد والرقائق (٢٢٨٠/٤) ح (٢٩٦٩).

([4]) ينظر المحرر الوجيز (٢ /٥٦)، التفسير الكبير (٨٥/١٠)، البرهان (٥٦/٢)، تفسير الجلالين ص (١٠٧)، البحر المديد (٥٠٦/١)، البحر المديد (١٠٧/٢)، دفع إيهام الاضطراب (٦٤)، تفسير الشيخ المراغي (٩٦/٧).

**رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} {مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ}**، وفي موطنٍ يعترفون على أنفسهم، وهو قوله–ﷻ– **{فَٱعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ}** [الملك /١١]، وفي موطنٍ لا يتساءلون، وفي موطنٍ يسألون الرجعة، وآخِرُ تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتَتَكلَّمُ جوارحهم، وهو قوله–ﷻ– **{وَلاَ يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا}**(١)، وقيل غير ذلك.

## السَّبَبُ الثَّالِثُ: اخْتِلافُهُمَا فِي جِهَتَيِ الفِعْلِ

وفيما يلي مثالان على ذلك:

### المِثَالُ الأَوَّلُ

قوله–ﷻ–: **{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ}** [الأنفال/١٧].

**إن قيل:** لِمَ نُفِيَ القتلُ عن المؤمنين، ونُسِبَ لله–ﷻ–، مع أنَّ المؤمنين قتلوا الكفارَ في بدر ؟ **فالجواب:** أنَّ أصل الخبر المنفي يَدُلُّ على انتفاء صدور المسند عن المسند إليه، ولا يَدُلُّ على انتفاء وقوع المسند أصلاً، فلذلك صَحَّ النَّفْيُ في قوله–ﷻ– **{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ}** مع كون القتل حاصلاً، وإنَّمَا المنفي كونه صادراً عن أسبابهم، ووجه الاستدراك المفاد بـ **{لَكِنَّ}** أنَّ الخبر نَفَى أن يكون القتل الواقع صادراً عن المخاطبين،فكانَ السَّامعُ بحيث يتطلب أكان القتلُ حقيقة أم هو دون القتل ؟ ومَنْ كان فاعلاً له ؟ فاحتيج إلى الاستدراك بقوله–ﷻ– **{وَلَكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ}**(٢)، قال ابن كثير: " إنَّ الله–ﷻ– هو الذي وَفَّقَهُم لذلك [قتل المشركين] وأعانهم؛ ولهذا قال–ﷻ–: **{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ}** أي: ليس بِحَوْلِكُمْ وقوتكم قَتَلْتُمْ أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم، أي: بل هو الَّذي أظفركم بهم ونصركم عليهم، كما قال–ﷻ–: **{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ**

(١) ينظر قول الحسن البصري في معالم التنزيل (٢١٨/٢)، زاد المسير (٨٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٩٩/٥)، لباب التأويل (٥٢٩/١، ٥٣٠)، البحر المحيط (٢٦٣/٣)، اللباب في علوم الكتاب (٣٩١/٦)، السراج المنير (٣٥١/١)، التفسير المظهري (١١١/٢)، تفسير السمعاني (٤٣٠/١)، روح المعاني (٣٥/٥)، ونُسِب هذا القول أيضاً إلى قتادة كما في معاني القرآن للنحاس (٩٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٩٩/٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩٤/٩).

**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** [آل عمران/ ١٢٣]، وقال-ﷻ-: **{لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ}** [التوبة/٢٥] يُعْلِمُ -ﷻ- أنَّ النَّصر ليس عن كثرة العدد، ولا بلبس اللأمة والعدد، وإنَّما النَّصر من عند الله -ﷻ-، كما قال-ﷻ-: **{كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ}** [البقرة/٢٤٩] "(١) ا.هـ

## المِثَالُ الثَّانِي

قوله-ﷻ- **{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَى}** [الأنفال/١٧].

**إن قيل:** هذا ظاهره التناقض، لأنَّه جمع بين نفي الرمي عن النَّبِيِّ-ﷺ- وإثباته له ؟ **فالجواب:** أنَّ الله-ﷻ- قال لِنَبِيِّهِ-ﷺ- في شأن القبضة من التراب، التي حصب بها وجوه المشركين يوم بدر، حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته، فرماهم بها وقال: " شَاهَت الوجوه "(٢) – قال الله-ﷻ- له– **{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَى}** والمعنى: وما رميتَ يا رسول الله رمياً توصله إلى أعينهم، ولم تقدر عليه، إذ ليس في وسع أحدٍ من البشر أن يَرْمِي كَفَّاً من

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٣٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٣٠)، ومعنى شَاهَت: قَبُحَت، يُقال: شاهَ يشُوه شَوْهاً، وشَوِه شَوَهاً، ورجُل أشْوَهُ، وامْرأةٌ شوهاء. النهاية في غريب الحديث/ شوه (٢/١٢٤٩)، قال الواحدي في أسباب النزول ص (١٥٦): " وَأَكْثَرُ أهلِ التَّفْسِيرِ على أنَّ الآية نزلت في رمي النَّبِيِّ-ﷺ- القبضة من حصباء الوادي يوم بدر حين قال للمشركين: شاهت الوجوه، ورماهم بتلك القبضة، فلم تبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء " ا.هـ، وقال السيوطي في لباب النقول ص (١٠٦): " المشهور أنَّها نزلت في رمية يوم بدر بالقبضة الحصباء " ا.هـ، فقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير (١١/٢٨٥) ح (١١٧٧٦) عن ابن عباس-ﷺ-: أنَّ النَّبِيَّ-ﷺ- قال لِعَلِيٍّ-ﷺ-: **(نَاوِلْنِي كَفًّا مِن حصباء، فَنَاوَلَهُ، فَرَمَى بِه وجوهَ القوم، فما بقي أحدٌ من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَى})**، وأخرج الطبري في تفسيره (١٣/٤٤٥) عن ابن عباس-ﷺ- قال: **(رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- يده يوم بدر فقال: يا ربِّ، إنْ تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدًا ! فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب ! فأخذ قبضة من التراب، فرمى بها في وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا أصابَ عينيه ومنخريه وفمه ترابٌ من تلك القبضة، فولُّوا مدبرين)**.

الحصى في وجوه جيشٍ فلا تبقى عينٌ إلا وقد دخل فيها من ذلك شيء **{إِذْ رَمَيْتَ}** أي: أتيتَ بصورة الرَّمْي **{وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَى}** أي: أتى بما هو غاية الرمي، فأوصلها إلى أعينهم جميعا حتى انهزموا، فابتداءُ الرَّمْي وصُورتُهُ صَدَرَا من رسول الله-ﷺ-، وإيصاله وتأثيره صَدَرا من الله-ﷻ-، فلهذا المعنى صَحَّ نَفْيُ الرَّمْيِ وإثباتُهُ(١).

قال الزَّركشي: " ومثله قوله-ﷻ-: **{ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ}** [النساء/٣٤]، وقال-ﷻ-: **{وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}** [البقرة/٢٣٨] فقيام الانتصاب لا ينافي القيام بالأمر، لاختلاف جهتي الفعل "(٢) ا.هـ

وعليه فالآيتان الكريمتان السابقتان فيهما ذِكْرٌ للقيام، فما الفرق بينهما ؟

**والجواب:** أنَّ قوله-ﷻ- **{وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}** فيه أمرٌ بالقِيَّامِ، فهل المراد بالقيام هنا المكث على الشَّيء، أو القيام على القدمين ؟ هو المعنيان جميعاً؛ فقد فَسَّرَهُ ابنُ عطية بالقيام الحِسِّي حقيقة، قال: ومعناه في صلاتهم، وفَسَّرَهُ بعضهم بالقيام المعنوي، وهو الجِدُّ في الطلب والطاعة(٣).

وَأَمَّا القيام في قوله-ﷻ- **{ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ}** فهو قيام الحفظ والتَّدبير والتَّأديب والإصلاح والرعاية(٤)، كما يقوم الوالي على رعيته بالأمر

(١) ينظر الكشاف (٢٠٧/٢)، التفسير الكبير(٤٦٧/١٥)، أنوار التنزيل (٩٦/١)، مدارك التنزيل (١٤١/٢)، لباب التأويل (١٧/٣)، تفسير القرآن العظيم (٣٠/٤)، اللباب في علوم الكتاب (٤٨٢/٩)، تفسير الجلالين ص (٢٢٩)، السراج المنير (٤٤٤/١)، محاسن التأويل (٢٦٩/٥)، التفسير المنير (٢٧٧/٩)، التفسير الواضح (٨١٤/١) بتصرف.

(٢) البرهان (٦٠/٢).

(٣) ينظر المحرر الوجيز (٣٢٣/١)، تفسير ابن عرفة المالكى (٦٨٩/٢).

(٤) ينظر لباب التأويل (٥١٨/١) البحر المحيط (٢٤٩/٣)، اللباب في علوم الكتاب (٣٥٩/٦)، التفسير المظهري (٩٨/٢).

والنَّهـي والحفـظ والصـيانة(١)، قـال صـاحب التفسـير الوسـيط: " قولـه-ﷻ- **{قَوَّامُونَ}** جمع قَوَّام على وزن (فَعَّال) للمبالغة من القيام على الشيء وحِفْظِهِ، يُقال: قام فلانٌ على الشَّيء وهو قائمٌ عليه وقَوَّامٌ عليه: إذا كان يرعاه ويحفظه ويتولاه، ويُقال: هذا قَيِّمُ المرأةِ وقَوَّامُها للذي يقوم بأمرها ويهتم بحفظها وإصلاحها ورعاية شئونها، أي: الرِّجَالُ يقومون على شئون النِّساء بالحفظ والرِّعاية والنَّفقة والتَّأديب وغير ذلك مما تقتضيه مصلحتهن "(٢) ا.هـ

## السَّبَبُ الرَّابِعُ: اخْتِلافُهُمَا فِي الحَقِيْقَةِ وَالمَجَازِ

ومنه قوله-ﷻ- **{وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ}** [الحج/٢].

**إن قيل:** ما وجه النفي بقوله-ﷻ- **{وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ}** بعد الإيجاب بقوله-ﷻ- **{وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَىٰ}** ؟ **فالجواب:** أنَّ في الآية الكريمة تشبهاً بليغاً، حيث شُبِّهَ النَّاسُ في ذلك اليوم العصيب بحالة السكارى الذين فقدوا التَّمييز وأضاعوا الرُّشد، وقوله-ﷻ- بعده **{وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ}** قرينة على قصد التَّشبيه، وليُبْنَى عليه قوله-ﷻ- بعده **{وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ}**(٣).

**وبيان ذلك:** أن الله-ﷻ- بَيَّنَ حالة ثالثة للآثار التي تَدُلُّ على شِدَّةِ زلزلة السَّاعة فقال -ﷻ-: **{وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ}** أي: وترى- أَيُّهَا المخاطبُ- النَّاسَ في هذا الوقت العصيب، هيئتهم كهيئة السُّكارى من قوة الرُّعب والفزع، وما هم على الحقيقة بسكارى، لأنهم لم يشربوا ما يُسكرهم، ولكنَّ شِدَّةَ عذابِهِ-ﷻ- هي التي جعلتهم بهذه الحالة التي تُشبه حالة السكارى في الذُّهولِ والاضطراب(٤).

---

(١) ينظر الكشاف (٥٠٥/١)، أنوار التنزيل (١٨٤/١)، مدارك التنزيل (٣٢٧/١)، نظم الدرر (٢٥١/٢)، إرشـاد العقـل السـليم (١٧٣/٢)، السـراج المنيـر (٢٤١/١)، روح المعـاني (٢٣/٥).

(٢) التفسير الوسيط للطنطاوي (١٣٦/٣).

(٣) ينظر التحرير والتنوير (١٩١/١٧).

(٤) التفسير الوسيط للطنطاوي (٢٧٣/٩، ٢٧٤).

وقد أشار صاحب الكشاف إلى هذا المعنى فقال: " وتراهم سكارى على التَّشبيه، وما هم بسكارى على التَّحقيق، ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله- ﷻ-، هو الَّذي أذهب عقولهم، وطَيَّرَ تمييزهم، ورَدَّهم في نحو حال مَن يُذهب السكر بعقله وتمييزه "([1]) ا.هـ

وقد علق صاحب الانتصاف على عبارة صاحب الكشاف هذه فقال: " والعلماء يقولون: إنَّ من أدلة المجاز صدق نقيضه، كقولك: زيدٌ حمارٌ، إذا وصفته بالبلادة، ثم يصدق أن تقول: وما هو بحمار، فتنفى عنه الحقيقة، فكذلك الآية، بعد أنْ أثبت السُّكْرَ المجازي نَفَى الحقيقة أبلغ نَفْيٍ مؤكدٍ بالباء، والسِّرُّ في تأكيده: التَّنبيه على أنَّ هذا السُّكْرَ الَّذي هو بهم في تلك الحالة ليس من المعهود في شيء، وإنما هو أمر لم يعهدوا مثله من قبلُ، والاستدراك بقوله-ﷻ- **{وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ}** راجع إلى قوله-ﷻ- **{وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ}**، وكأنَّه تعليل لإثبات السُّكْرِ المجازي، فكأنَّه قيل: إذا لم يكونوا سُكارى من الخمر فما هذا السكر الغريب ؟ وما سببه ؟ فقال: شدةُ عذابِ الله-ﷻ- "([2]) ا.هـ

## السَّبَبُ الخَامِسُ: اخْتِلافُهُمَا بِوَجْهَيْنِ وَاعْتِبَارَيْنِ

قال الزَّركشي عن هذا السبب: " هو الجامع للمفترقات "([3]) ا.هـ

وفيما يلي أربعة أمثلة على ذلك:

### المِثَالُ الأَوَّلُ

قوله-ﷻ- **{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ}** [الشورى/٤٥] يَدُلُّ على أنَّ الكفار يوم القيامة ينظرون بعيون خفية

([1]) الكشاف عن حقائق التنزيل (٣ /١٤٢، ١٤٣)، وينظر المحرر الوجيز (١٠٦/٤)، التفسير الكبير (٢٣/ ٢٠٣)، أنوار التنزيل (١١٣/١)، التسهيل (٣٢/٢)، مدارك التنزيل (١٤١/٣)، البحر المحيط (٣٢٥/٦)، لباب التأويل (٢/٥)، اللباب في علوم الكتاب (١٠/١٤)، الجواهر الحسان (٧٠/٣)، إرشاد العقل السليم (٩٢/٦)، البحر المديد (٥١٠/٣)، روح المعاني (١١٣/١٧)، محاسن التأويل (٢٣١/٧)، رموز الكنوز (٧/٥)، التفسير المنير للزحيلي (١٥١/١٧)، تفسير الشيخ المراغي (٨٥/١٧).

([2]) الانتصاف (١٤٢/٣).

([3]) البرهان في علوم القرآن (٦١/٢).

ضعيفة النَّظر، وقد جاءت آية أخرى يُتوهم منها خلاف ذلك وهي قوله–ﷻ– **{فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ}** [ق/٢٢].

**والجواب:** هو ما ذكره صاحبا البرهان والإتقان: من أنَّ المراد بِحِدَّةِ البصر: العلم وقُوَّةُ المعرفة، قال قُطْرُب(١): **(فَبَصَرُكَ)** أي عِلْمُكَ(٢) ومعرفتُكَ بها قَوِيَّةٌ، من قولهم بصر بكذا: أي عَلِمَ، وفلان بصيرٌ بهذا الأمر: إذا كان ذا علمٍ به، وله بهذا الأمر بصرٌ: أي عِلْمٌ، وليس المراد رؤية العين، ويَدُلُّ على ذلك قوله– ﷻ– **{فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ}**(٣).

وقال بعض العلماء: قوله–ﷻ– **{فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ}** أي تُدرك به ما عَميت عنه في دار الدُّنيا، ويَدُلُّ لهذا قوله–ﷻ–: **{وَلَوْ تَرَى إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}** [السجدة/١٢]، وقوله–ﷻ–: **{وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا}** [الكهف/٥٣]، وقوله–ﷻ–: **{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ ٱلظَّالِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}** [مريم/٣٨](٤).

قال ابن عاشور: " حِدَّةُ البَصَرِ: قوةُ نفاذِهِ في المَرْئِي، وحِدَّةُ كُلِّ شيء: قوةُ مفعوله، ومنه حِدَّةُ الذهن، والكلام يتضمن تشبيه حصول اليقين برؤية المرئي ببصر قوي، وتقييده بقوله: **{ٱلْيَوْمَ}** تعريض بالتوبيخ، أي ليس حالك اليوم كحالك قبل اليوم، إذ كنت في الدنيا منكراً للبعث، والمعنى: فقد شاهدتَ البعث

(١) هو محمد بن المُسْتَنِير بن أحمد، أبو على، الشهير بقُطْرُب، نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة، من مؤلفاته: معاني القرآن، والأضداد، غريب الحديث، النوادر، توفي سنة ٢٠٦هـ. ينظر وفيات الأعيان (٣١٢/٤، ٣١٣)، بغية الوعاة (٢٤٢/١، ٢٤٢)، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب (١٤/٢، ١٥).

(٢) وبه قال أيضاً: الفراء في معاني القرآن (٧٨/٣)، والطبري في تفسيره (٣٥٢/٢٢)، والنحاس في إعراب القرآن (٢٢٦/٤)، وينظر الكشف والبيان (١٠١/٩).

(٣) البرهان (٦١/٢)، الإتقان (٨٦/٣)، وينظر الموسوعة القرآنية (١٩٣/٢).

(٤) دفع إيهام الاضطراب (٢٠٦)، وينظر روح البيان (١٢١/٩).

والحشر والجزاء، فإنَّهم كانوا ينكرون ذلك كله، قالوا: **{أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ}** [الصافات/٥٣]، وقالوا: **{وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}** [الصافات/٥٩] فقد رأى العذاب ببصره "(١) ا.هـ

**وعليه:** فمعنى قوله–ﷻ– **{فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ}** أي: فبصرك ونظرك في هذا اليوم نافذٌ قويٌّ، تستطيع أنْ تُبصر به ما كنتَ تنكره في الدنيا، من البعث والحساب والثَّواب والعقاب، يُقال: فلانٌ حديدُ البَصَرِ: إذا كان شديد الإبصار بحيث يرى أكثر مما يراه غيره(٢)، قال الشنقيطي: " ودلالة القرآن على هذا الوجه الأخير ظاهرة، فلعله هو الأرجح وإن اقتصر صاحب الإتقان على الأَوَّلِ "(٣) ا.هـ

## المِثَالُ الثَّانِي

قوله–ﷻ– **{وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ}** [الأعراف/١٢٧] مع قوله–ﷻ–: **{أَنَا رَبُّكُمُ ٱلأَعْلَى}** [النازعات/٢٤].

**إن قيل:** ما وجه قول الملأ لفرعون **{وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ}** مع أنَّهُمْ صَدَّقُوهُ في قوله **{أَنَا رَبُّكُمُ ٱلأَعْلَى}** ؟

**فالجواب:** أنَّ إضافة الآلهة إلى فرعون إضافة ملك، لأنَّه صنع لقومه أصناماً وأمرهم أنْ يعبدوها، على أنْ يكون هو رَبَّهُمُ الأعلى، وعليه: فيكون اعتقادهم في الآلهة مع فرعون أنَّها مملوكة له، فيحسن قولهم: **{وَآلِهَتَكَ}**(٤).

ومِن ثَمَّ قال بعض العلماء الأجلاء: إنَّ فرعون صنع لقومه أصناماً وأَمَرَهُمْ أنْ يعبدوها تقرباً إليه– كما يعبد عَبَدَةُ الأصنامِ الأصنامَ ويقولون: ما نعبدهم إلا

(١) التحرير والتنوير (٣٠٩/٢٦).
(٢) التفسير الوسيط للطنطاوي (٣٤٤/١٣).
(٣) دفع إيهام الاضطراب ص (٢٠٦).
(٤) ينظر البرهان (٦١/٢) بتصرف.

ليقربونا إلى الله زلفى–، ولذلك قال فرعون: **{أَنَا رَبُّكُمُ ٱلأَعْلَى}**(١): وإليه ذهب ابنُ عَبَّاسٍ–رضي الله عنه– والسُّدِّيُّ(٢)، وعليه فالمعنى: ويذرك وآلهتك الَّتي صنعتَها ونصبتَها للعبادة.

## المِثَالُ الثَّالِثُ

قوله–ﷻ–: **{ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ ٱللَّهِ}** [الرعد/٢٨] مع قوله–ﷻ–: **{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}** [الأنفال/٢] فقد يُظَنُّ أنَّ الوجل خلاف الطُّمأنينة، **وجوابه من وجوه ثلاثة:**

**الوَجْهُ الأَوَّلُ:** أنَّ الطُّمأنينة إنَّمَا تكون بانشراح الصَّدْرِ بمعرفة التَّوحيد، والوجل يكون عند خوف الزَّيغِ والذّهابِ عن الهدى، فتوجل القلوب لذلك، وقد جمع بينهما في قوله–ﷻ–: **{ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ ٱللَّهِ}** [الزمر/٢٣](٣).

---

(١) ينظر الكشاف (١٤٣/٢)، زاد المسير (٣/ ٢٤٤)، أنوار التنزيل (٤٩/١) التسهيل (٢٩٨/١)، مدارك التنزيل (١٠٢/٢)، تفسير النيسابوري (٤٨٩/٣)، إرشاد العقل السليم (٢٦٢/٣)، روح البيان (٢١٤/٣)، البحر المديد (٢٤٩/٢).

(٢) ينظر قول ابن عباس في الكشف والبيان (٢٧١/٤)، التفسير الوسيط للواحدي (٣٩٦/٢)، معالم التنزيل (٢٦٧/٣)، روح المعاني (٢٩/٩)، رموز الكنوز (٢٢٨/٢)، التفسير المظهري (٣٩٤/٣)، وقول السدي في معالم التنزيل (٢٦٧/٣)، لباب التأويل (٢٧٣/٢)، السراج المنير (٣٩٧/١)، بيان المعاني (٤٠٢/١)، تفسير السمعاني (٢٠٥/٢)، روح المعاني (٢٩/٩)، التفسير المظهري (٣٩٤/٣).

(٣) ينظر التفسير الكبير(٤٥٦/١٥)، الجامع لأحكام القرآن (٣٦٥/٧، ٣٦٦)، لباب التأويل (٤/٣)، البرهان (٦١/٢، ٦٢)، الإتقان (٨٦/٣)، إيجاز البيان عن معاني القرآن (٥٧٨/٢)، السراج المنير (٤٣٦/١)، روح المعاني (١٦٥/٩)، الموسوعة القرآنية (١٩٣/٢)، دفع إيهام الاضطراب ص (١٠٣).

قـال الشـنقيطي: " إنَّ الطُّمأنينـة بـذكر الله–ﷻ– تكـون بانشـراح الصـدر بمعرفة التوحيد وصدق ما جاء به الرسول–ﷺ–، فطمأنينتهم بذلك قوية لأنَّها لم تتطرقها الشُّكُوكُ ولا الشُّبَهُ، والوجل عند ذكر الله–ﷻ– يكون بسبب خوف الزَّيغ عن الهدى، وعدم تقبُّلِ الأعمال، كما قال–ﷻ– عن الراسخين في العلم: **{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}** [آل عمران/ ٨]، وقال–ﷻ–: **{وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَواْ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}** [المؤمنون/ ٦٠]، وقال–ﷻ–: **{ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ ٱللَّهِ}** [الزمر/٢٣] "([1]) ا.هـ

**الوَجْهُ الثَّانِي:** أنَّ الوجل يكون عند ذكر الوعيد والعقاب، والطُّمأنينة تكون عند ذكر الوعد والثَّواب، فالقلوب توجل إذا ذُكر عدلُ الله–ﷻ– وشِدَّةُ حسابه وعقابه، وتطمئن إذا ذُكر فضل الله–ﷻ– ورحمته وكرمه وإحسانه([2]).

**الوَجْهُ الثَّالِثُ:** أنَّ الوجل من عظمة الله–ﷻ– وجلاله وهيبته وخشيته، وهو لا ينافي اطمئنان الاعتماد والرجاء([3]).

وقد أضاف الرَّازِيُّ وجهين آخرين: **أولهما:** أنَّ عِلْمَ المؤمنين بكون القرآن معجزاً يوجب حصول الطُّمأنينة لهم في كون محمد–ﷺ– نَبِيَّاً حقاً من عند الله–ﷻ–، وأمَّا شَكُّهُم في أنَّهم أتوا بالطاعات على سبيل التَّمام والكمال فيوجب حصول الوجل في قلوبهم، **وثانيهما:** أنَّه حصلت في قلوبهم الطُّمأنينة في أنَّ الله–ﷻ– صادقٌ في وعده ووعيده، وأنَّ محمداً–ﷺ– صادقٌ في كُلِّ ما أخبر

---

([1]) أضواء البيان (٥/٢٥٩).
([2]) ينظر تفسير السمعاني(٣/٩٢)، معالم التنزيل (٤/٣١٥)، لباب التأويل (٤/٢٠)، اللباب في علوم الكتاب (١١/ ٣٠١)، السراج المنير (٢/١٢٦)، التفسير الوسيط للطنطاوي (٧/٤٧٨)، التفسير المنير(١٣/ ١٦٥).
([3]) ينظر حاشية الشهاب (٥/٢٣٧)، روح المعاني (١٣/١٥٠)، التفسير الوسيط للطنطاوي (٧/٤٧٨).

عنه، إلا أنَّه حصل الوجل والخوف في قلوبهم أنَّهم هل أتوا بالطاعة الموجبة للثواب أم لا ؟ وهل احترزوا عن المعصية الموجبة للعقاب أم لا (١) ؟

## المِثَالُ الرَّابِعُ

قوله–ﷻ– في سورة [الأنفال/٩]: **{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ}** مع قوله–ﷻ– في سورة [آل عمران/١٢٤]: **{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ ٱلْمَلآئِكَةِ مُنْزَلِينَ}** فكيف الجمع بينهما ؟

**والجواب:** أنَّ الله–ﷻ– أَمَدَّ المؤمنين بألف من الملائكة في يوم بدر، كما بَيَّنَ في سورة الأنفال، ثُمَّ زاد عددهم إلى ثلاثة آلاف كما قال –ﷻ– في سورة [آل عمران/١٢٣، ١٢٤]:
**{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلآئِكَةِ مُنْزَلِينَ}**، ثُمَّ زاد عددهم مرة أخرى إلى خمسة آلاف، قال–ﷻ–: **{بَلَى إِنْ تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ ٱلْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ}** [آل عمران/١٢٥] وقد صبروا واتَّقوا، وأتاهم المشركون من مكة فوراً حين استنفرهم أبو سفيان لإنقاذ العير، فكان المَدَدُ خمسة آلاف، واختار ابنُ جرير أنَّهم وُعِدُوا بالمَدَدِ بعد الألف، وأنَّهُ لا دلالة في الآيات على أنَّهم أُمدوا بما زاد على ذلك، ولا على أنَّهم لم يُمَدُّوا، ولا يثبت شيء من ذلك إلا بنصٍّ(٢).

وهذا بناء على أنَّ المَدَدَ الذي وعد اللهُ–ﷻ– به المؤمنين في آيات سورة آل عمران كان خاصاً بغزوة بدر.

(١) التفسير الكبير (٤٧/١٩).
(٢) ينظر جامع البيان (١٨٠/٧، ١٨١).

وأمَّا على الرأي القائل بأنَّ هذا المَدَدَ الَّذي بتلك الآيات كان خاصاً بغزوة أُحد، فلا يكون هناك إشكال بين ما جاء في السُّورتين الكريمتين([1]).

وقد بسط القول في هذه المسألة ابنُ كثير فذكر ما ملخصه:
اختلف المفسرون في هذا الوعد الوارد في سورة آل عمران: هل كان يوم بدر أو يوم أُحد ؟ على قولين:
**القَـوْلُ الـأَوَّلُ:** أنَّ قوله-ﷻ-: **{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمَلَآئِكَةِ مُنْزَلِينَ}** [آل عمران/١٢٤] متعلق بقوله-ﷻ-: **{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ}** [آل عمران/١٢٣] وهذا قول الحسن والشَّعبي والرَّبِيع بن أنس وغيرهم.
**فـإن قيـل:** فكيف الجمع بين هذه الآيات من سورة آل عمران- على هذا القول- وبين قوله-ﷻ- في سورة [الأنفال/٩]: **{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ ٱلْمَلَآئِكَةِ مُرْدِفِينَ}**.
**فالجـواب:** أنَّ التَّنصيص على الألف في سورة الأنفال، لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها المذكورة في سورة آل عمران، لقوله-ﷻ- **{مُرْدِفِينَ}** بمعنى يَرْدُفُهُمْ غيرُهم ويَتْبَعُهُمْ ألوفٌ أُخَرُ مِثْلُهُم، قال الرَّبيع بن أنس: أَمَدَّ اللهُ-ﷻ- المسلمين بألف،ثم صاروا ثلاثة آلاف،
ثم صاروا خمسة آلاف([2]).
**القَوْلُ الثَّانِي:** أنَّ الوعد الوارد في قوله-ﷻ-: **{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمَلَآئِكَةِ}** [آل عمران/١٢٤] متعلق بقوله- قبل ذلك-: **{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ}** [آل عمران/١٢١] وذلك يوم أُحد، وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم، لكنْ قالوا: لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف، لأنَّ المسلمين يومئذ فَرُّوا، وزاد عكرمة: ولا

([1]) ينظر التفسير الوسيط للطنطاوي (٤٦/٦، ٤٧).
([2]) أخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره (٧٥٢/٣)، وينظر تفسير القرآن العظيم (١١٢/٢)، وبه قال قتادة: أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧٧/٧)، وابن المنذر في تفسيره (٣٦٦/١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٥٣/٣) وزاد عزوه لعبد بن حميد، وينظر معالم التنزيل (٩٨/٢)، رموز الكنوز (٢٨٧/١).

بالثلاثـة الآلاف لقولـه–ﷻ– **{بَلَـى إِنْ تَصْـبِرُواْ وَتَتَّقُـواْ}** [آل عمـران/١٢٥] فلـم يصبروا، بل فَرُّوا، فلم يُمدوا بمَلَكٍ واحدٍ(١).

ويبدو من كلام ابن كثير أَنَّه يميل إلى أنَّ هذا الوعد كان يوم بدر، فقد قال: " فالظاهر أنَّ ذلك كان يوم بدر "(٢) ا.هـ

وهذا ما تسكن إليه النَّفْسُ: لأنَّ الوعد بنصرة الملائكة للمؤمنين كان يوم بدر، لا يوم أحد، فقد كانوا في بدر قليلي العَدد والعُدد، وكانت غزوة بدر أَوَّلَ معركة حربيَّة كبرى يلتقي فيها المؤمنون بالكافرين، ولأنَّ سياق الآيات يُشعر بأنَّ الله–ﷻ– قد ساقها ليستحضر المؤمنون في أذهانهم مشهد غزوة بدر وما تَمَّ فيها من نصرٍ بسبب صدق إيمانهم وطاعتهم لِنَبِيِّهِمْ–ﷺ– حتى لا يعودوا إلى ما حدث من بعضهم في غزوة أُحد من مخالفة للرسول–ﷺ–، وعلى هذا الرأي يكون قوله–ﷻ–: **{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ ٱلْمَلآئِكَةِ مُنْزَلِينَ}** [آل عمران/١٢٤] متعلقاً بقوله–ﷻ–: **{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ}** [آل عمران/١٢٣] أي: اذكروا أيُّها المؤمنون أنَّ الله–ﷻ– قد نصركم ببدر وأنتم قِلَّةٌ في العَدَدِ والعُدَّةِ، وكان رسولكم–ﷺ– في ذلك الوقت يقول لكم على سبيل التَّثبيت والتَّقوية: **{أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ ٱلْمَلآئِكَةِ مُنْزَلِينَ}** [آل عمران/ ١٢٤] أي: مُنْزَلِينَ من السَّمَاءِ لنصرتكم وتقويتكم وَدَحْرِ أعدائكم(٣).

## تاسعاً/ اسْتِشْكَالانِ وَجَوَابُهُمَا

### الاسْتِشْكَالُ الأَوَّلُ

اسْتَشْكَلَ البعضُ قَوْلَهُ –ﷻ–: **{وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ ٱلْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلاً}**

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم (١١٢/٢، ١١٣).
(٢) المصدر السابق (١١٢/٢).
(٣) التفسير الوسيط للطنطاوي (٢٤٩/٢، ٢٥٠).

[الكهف/٥٥] فإنَّه يدل على حَصْرِ المانع من الإيمان في أحد هذين الشَّيئين، وقد قال-ﷻ- في آية أخرى: **{وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ ٱلْهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُواْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً}** [الإسراء/٩٤] فهذا حصرٌ في ثالثٍ غيرهما.

**ووجـه الجمـع:** أنَّ الحَصْرَ في آية الإسراء حَصْرٌ في المانع العادي، والحَصْر في آية الكهف في المانع الحقيقي.

وإيضاح ذلك: أنَّ المانع من الإيمان نوعان: مانع عادي، ومانع حقيقي.

**فالمـانـع العـادي:** هو المذكور في آية الإسراء، لأنَّه جرت عادة الأمم باستغرابهم بعث الله-ﷻ- رسلاً من البشر، وقد وردت آيات كثيرة تَدُلُّ على ذلك: كقوله -ﷻ-: **{قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا}** [يس/١٥]، وقوله-ﷻ-: **{أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا}** [المؤمنون/٤٧]، وقوله-ﷻ-: **{أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ}** [القمر/٢٤]، وقوله -ﷻ-: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا}** [التغابن/٦]، وقوله-ﷻ-: **{وَقَالَ ٱلْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُوا بِلِقَآءِ ٱلآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ}** [المؤمنون/٣٣، ٣٤] إلى غير ذلك من الآيات.

فكون النَّاس يستغربون بعث البشر، هذا استغراب عاديٌّ ضَلَّ بسببه أكثرهم، مع أنَّ الله -ﷻ- بَيَّنَ لهم أنَّ رسالة البشر معروفة، قال-ﷻ-: **{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلأَسْوَاقِ}** [الفرقان/٢٠]، وقال-ﷻ-: **{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً}** [الأنبياء/٧] أي: لا ملائكة، وقال-ﷻ- في الرسل: **{وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَالِدِينَ}** [الأنبياء/٨].

فهذا المانع- وهو قولهم **{أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً}** واستغرابهم بعث رسول من البشر-

مانعٌ عاديٌّ، والأمور العادية قد تتخلف، ولذا أَسْلَمَ كثيرٌ من الناس، ولم يمنعهم أنَّ المبعوث بَشَرٌ([1]).

**وأَمَّا المانع الحقيقي:** فهو المذكور في آية الكهف، لأنَّ المعنى: وما منع الكفار من الإيمان وقت أنْ جاءهم الهدى عن طريق نَبِيِّهِمْ-ﷺ-، ومِن أَنْ يستغفروا ربهم مِن ذنوبهم، إلا ما سبق في علمنا، من أنَّهم لا يؤمنون، بل يستمرُّون على كفرهم حتى تأتيهم سُنَّةُ الأَوَّلِينَ، أي: سُنَّتُنَا في إهلاكهم بعذاب الاستئصال بسبب إصرارهم على كفرهم، أو يأتيهم العذاب عياناً ومواجهة ومقابلة([2]).

ويجوز أنْ يكون الكلام على حذف مضاف، و" أَنْ " وما بعدها في قوله- ﷻ- **{إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ}** في تأويل فاعل الفعل **{مَنَعَ}**، والمعنى: وما منع الناس من الإيمان والاستغفار وقت مجيء الهدى إليهم، إلا طلب أو انتظار إتيان سنَّة الأولين، كأنْ يقولوا- كما حكى اللهُ -ﷻ- عن بعضهم-: **{فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ}** [الشعراء/ ١٨٧] فَسُنَّةُ الأَوَّلِينَ: أنَّهُم طلبوا من أنبيائهم تعجيل العذاب، فأخذهم اللهُ-ﷻ- أخذ عزيز مقتدر([3]).

وعَلَّلَ آخرون: المانع الحقيقي المذكور « في آية الكهف» بأنَّ مَنْ أراد اللهُ- ﷻ- به سُنَّةَ الأَوَّلِينَ: من الإهلاك، أو أنْ يأتيه العذاب قبلاً، فإرادته-ﷻ- به ذلك مانعة من خلاف المراد، لاستحالة أنْ يقع خلاف مراده-ﷻ-، بخلاف المانع « في آية الإسراء » فهو مانع عادي يصح تخلفه([4])، **وعليه:** فقد انفكت جهةُ المانِعَيْنِ بكون هذا عادياً وهذا حقيقياً، فزال الخلاف لانفكاك جهة المانعية.

---

([1]) ينظر أضواء البيان (١٨/١٨٥-١٨٦) بتصرف.
([2]) ينظر التفسير الوسيط للطنطاوي (٨/٥٤١).
([3]) ينظر إرشاد العقل السليم (٥/٢٣٠)، فتح القدير (٣/٢٩٥)، التفسير الوسيط للطنطاوي (٨/٥٤١).
([4]) ينظر البرهان (٢/٦٥، ٦٦)، الإتقان (٣/٨٧)، أضواء البيان (٣/١٨٥-١٨٦) بتصرف.

## الاسْتِشْكَالُ الثَّانِي

اسْتَشْكَلَ البعضُ قَوْلَهُ-ﷻ- **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ}** [الأنعام/٢١] مع قوله-ﷻ- **{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا}** [الأنعام/ ١٥٧] وقوله-ﷻ- **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ ٱللَّهِ}** [البقرة/١٤٠] حيث إنَّ « مَنْ » استفهامٌ في محلِّ رفعٍ بالابتداء، و « أظلمُ » أفعلُ تفضيلٍ خبرُه، ومعنى الاستفهامِ هنا النفيُ، أي: لا أحدَ أظلمُ منه، ولَمَّا كان المعنى على ذلك أَوْرَدَ بعضُ الناس سؤالاً: وهو أنَّ هذه الصيغةَ قد تكرَّرتْ في القرآن: ومنها **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا}** [البقرة/١١٤]، **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُ}** [العنكبوت/٦٨]، **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ}** [الكهف/٥٧]، **{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُ}** [الزمر/٣٢]، وكلّ ٌ واحدةٍ منها تقتضي أنَّ المذكورَ فيها لا يكونُ أحدٌ أظلمَ منه، فكيف يُوصفُ غيرُه بذلك ؟

**والجواب من وجوه أربعة:**

**الوَجْهُ الأَوَّلُ:** أَنْ يُخَصَّ كُلُّ واحدٍ من هذه المواضع بمعنى صِلَتِهِ، كأنه قال: لا أحدَ مِن المانعين أظلمُ مِمَّنْ مَنَعَ مساجدَ الله أنْ يُذكر فيها اسمُهُ وسَعَى في خرابها، ولا أحدَ مِن المفترين أظلمُ مِمَّن افترى على الله كذباً، ولا أحدَ من الكذَّابين أظلمُ مِمَّن كَذَب على الله، وكذلك باقيها، وإذا تخصصت بِصِلاتِهَا زال الإشكال(١).

(١) ينظر البحر المحيط (٥٢٧/١)، الدر المصون (٧٧/٢)، البرهان (٧٤/٤، ٧٥)، اللباب في علوم الكتاب (٢/ ٤٠٥)، الإتقان (٨٧/٣)، روح المعاني (٣٦٣/١)، دفع إيهام الاضطراب ص (٢١)، أضواء البيان (٣/ ٣١٠-٣١١)، الأصلان في علوم القرآن ص (٩٤).

**الوَجْهُ الثَّـانِي:** أنَّ التَّخْصِيصَ يكونُ بالنِّسبةِ إلى السَّبْقِ، أي لَمَّا لَمْ يسْبَقْ أحدٌ إلى مثْلِه حَكَمَ عليهم بأنَّهُمْ أظلمُ مِمَّن جاء بعدَهم سالكاً طريقتَهم في ذلك، وهذا يؤُول معناه إلى السَّبْقِ في المانعيَّةِ والافترائيِّةِ ونحوِهِمَا(١).

**الوَجْهُ الثَّالِثُ:** أنَّ هذا نَفْيٌ للأَظْلَمِيَّةِ، ونَفْيُ الأَظْلَمِيَّةِ لا يَسْتَدْعِي نفيَ الظَّالِمَيَةِ، لأنَّ نَفْيَ المقيَّدِ لا يَدُلُّ على نفيِ المطلق، وإذا لم يَدُل على نَفْيِ الظَّالِمَيَةِ لم يكن مناقِضاً، لأنَّ فيها إثباتَ التَّسوية في الأَظْلَمِيَّةِ، وإذا ثَبَتَتْ التسويةُ في الأَظْلَمِيَّةِ لم يكنْ أحدٌ مِمَّن وُصِف بذلك يزيدُ على الآخر، لأنهم متساوون في الأَظْلَمِيَّةِ، وصار المعنى: لا أحدَ أظلمُ مِمَّن مَنَع مساجد الله أن يذكر فيها اسمُهُ، ومِمَّن افترى على الله كذباً، وممَّن ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عنها، ولا إشكالَ في تساوي هؤلاء في الأَظْلَمِيَّةِ، ولا يَدُلُّ ذلك على أنَّ أحد هؤلاء يزيدُ على الآخرِ في الظُّلم، كما أنَّك إذا قلتَ: « لا أحدَ أفقهُ من زيدٍ وبكرٍ وخالدٍ » لا يَدُلُّ على أن أحدَهم أفقهُ من الآخر، بل نَفَيْتَ أن يكونَ أحدٌ أفقهَ منهم، ولا يُقال: إنَّ مَنْ مَنَع مساجدَ اللهِ وسَعَى في خرابِها ولم يَفْتَرِ على الله كذباً أقلُّ ظلماً مِمَّنْ جَمَعَ بين هذه الأشياء، فلا يكونون متساوين في الأَظْلَمِيَّةِ؛ لأنَّ هذه الآياتِ كُلّهَا في الكُفَّارِ، وهم متساوُون في الأَظْلَمِيَّةِ وإن كان طُرُقُ الأَظْلَمِيَّةِ مختلفةً(٢).

**الوَجْهُ الرَّابِعُ:** أنَّ هذا استفهامٌ يُقصد به التَّهويل والتَّفظيع من غير قصد إثبات الأَظْلَمِيَّةِ للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره(٣).

## عاشراً/ مُوهِمُ التَّعَارُضِ بَيْنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

إنَّ ما يظهر للنَّاظِرِ من تعارضٍ بين بعض النُّصوص من الكتاب، أو من السُّنَّةِ، أو فيما بينهما، يُعَدُّ تعارضاً ظَاهِرِيَّاً ومُتَوَهَّماً، يقع في ذهن النَّاظِرِ

(١) ينظر البحر المحيط (٥٢٧/١)، الدر المصون (٧٧/٢)، البرهان (٧٥/٤)، اللباب في علوم الكتاب (٤٠٥/٢)، الإتقان (٨٧/٣، ٨٨)، روح المعاني (٣٦٣/١)، دفع إيهام الاضطراب ص (٢١).

(٢) البحر المحيط (٥٢٧/١)، وينظر الدر المصون (٧٧/٢، ٧٨)، البرهان (٧٥/٤، ٧٦)، اللباب في علوم الكتاب (٤٠٥/٢)، الإتقان (٨٨/٣)، دفع إيهام الاضطراب ص (٢١).

(٣) ينظر البرهان (٧٦/٤، ٧٧) الإتقان (٨٨/٣)، روح المعاني (٣٦٣/١).

وفَهْمِهِ، ولا حقيقة لـه فـي نفس الأمر؛ إذ لا يمكن بحال أنْ يصدر عن الشَّارع دليلان متعارضـان يقتضـي أحدُهُمَا نقيضَ مـا يقتضـيه الآخر ولا يمكن الجمـعُ بينهما ولا يكون بينهما نَسْخٌ.

قال الشَّاطِبِيُّ: " إنَّ كُلَّ مَن تَحَقَّقَ بأصول الشَّريعة، فأدلَّتُهَا عنده لا تكاد تتعارض، كما أنَّ كُلَّ مَن حَقَّقَ مناط المسائل فلا يكاد يقف في متشابه؛ لأنَّ الشَّرِيْعَةَ لا تعارض فيها ألبتة، فالمُتَحَقِّقُ بها مُتَحَقِّقٌ بما في الأمر، فيلزم ألاَّ يكون عنده تعارض، ولذلك لا تجد ألبتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف، لكنْ لَمَّا كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ أمكن التعارض بين الأدلَّةِ عندهم "([1]) ا.هـ

وقد استدلَّ العلماءُ لهذا المتقرر بأدلَّةٍ كثيرةٍ، منها ما يلي:

**الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ:** قولـه–ﷻ–: **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللَّـهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلافًا كَثِيرًا}** [النساء/٨٢] فمفهوم الآية أنَّ القرآن مِن عند الله–ﷻ–، فلا اختلاف فيه إذاً، والتَّعارض بجميع أنواعه سببٌ للاختلاف، فهو منتفٍ فيما بين نصوص القرآن، أو فيما بينها وبين صحيح السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

قال ابن كثير: " يقول–ﷻ– آمراً عباده بِتَدَبُّرِ القرآن..... ومخبراً لهم أنَّه لا اختلاف فيه ولا اضطراب؛ ولا تضاد ولا تعارض؛ لأنَّه تنزيل من حكيم حميد، فهو حَقٌّ من حَقٍّ؛ ولهذا قال–ﷻ–: **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ}**، ثم قال: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللَّـهِ}**؛ أي لو كان مُفْتَعَلاً مُخْتَلَقاً كما يقوله مَن يقوله مِن جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم؛ **{لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلافًا كَثِيرًا}** أي اضطراباً وتضاداً كثيراً؛ أي وهذا سالمٌ من الاختلاف؛ فهو مِن عند الله–ﷻ– "([2]) ا.هـ

([1]) الموافقات (٥/٣٤١).
([2]) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٦٤).

**وعليـه:** فلو كان هذا القرآن من عند غير الله – أي مِن إنشاء البَشَرِ– لوجدوا في أخباره
وفي نظمه وفي أسلوبه وفي معانيه اختلافاً كثيراً فضلاً عن الاختلاف القليل، ولكنَّ القرآن – لأنَّه مِن عند الله وَحْدَهُ– قد تَنَزَّهَ عن كُلِّ ذلك، وخلا من كُلِّ اختلاف، سواء أكان كثيراً أم قليلاً، فالمراد بالاختلاف: تباين النَّظم، وتناقض الحقائق، وتعارض الأخبار، وتضارب المعاني، وغير ذلك مما خلا منه القرآن الكريم، لأنَّه يتنافى مع بلاغته وصدقه([1]).

وفي ذلك يقول صاحب الكشاف: " قوله–ﷻ– **{لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلافاً كَثِيراً}** أى: لكان الكثير منه مختلفاً متناقضاً قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه، فكان بعضه بالغاً حد الإعجاز، وبعضه قاصراً عنه تُمكن معارضته، وبعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه، وبعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه، وبعضه دَالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني، وبعضه دَالاً على معنى فاسد غير ملتئم، فلما تجاوب كُلُّهُ بلاغة معجزة فائقة لقوى البلغاء، وتناصر معان، وصدق أخبار، دَلَّ على أنَّه ليس إلا من عند قادرٍ على ما لم يقدر عليه غيرُهُ، عالم بما لا يعلمه أحدٌ سواه "([2]) ا.هـ

فإن عَرَضَتْ لأحدٍ شبهةٌ وظَنَّ اختلافاً، فالواجبُ أن يَتَّهِمَ نَظَرَهُ، ويَسأل مَن هو أعلم منه([3])، وما ذهب إليه بعض الزنادقة المعاندين من أنَّ فيه أحكاماً مختلفة وألفاظاً غير مؤتلفة فقد أَبْطَلَ مَقَالَتَهُمْ علماءُ الإسلام، وما جاء في القرآن من اختلاف في تفسير وتأويل وقراءة وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وعام وخاص ومطلق ومقيد فليس هو المقصود في الآية، بل هذه من علوم القرآن الدَّالة على اتساع معانيه، وأحكام مبانيه([4]).

---

([1]) ينظر البحر المحيط (٣١٨/٣)، التفسير الوسيط للطنطاوي (٢٣٤/٣، ٢٣٥).
([2]) الكشاف (٥٤٠/١).
([3]) البحر المحيط (٣١٨/٣).
([4]) المحرر الوجيز (٨٣/٢).

**الدَّلِيلُ الثَّانِي:** قوله-ﷻ- **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}** [النجم/٣، ٤] الَّذي يَدُلُّ على أنَّ السُّنَّةَ وَحْيٌ من الله-ﷻ-، وما كان وحياً فهو مُنَزَّهٌ عن الاختلاف والتعارض فيما بين نصوصه، سواء أكان هذا الوحيُ قرآناً أم سُنَّةً.

قال ابنُ حزم: " ويبين صحة ما قلنا، من أنَّه لا تعارض بين شيء من نصوص القرآن ونصوص كلام النَّبِيِّ-ﷺ- وما نقل من أفعاله، قولُ اللهِ-ﷻ- مخبراً عن رسوله-ﷺ-
: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}** [النجم/٣، ٤] "([1]) ا.هـ

فليس نُطْقُ النَّبِيِّ-ﷺ- صادراً عن هوى نفسه **{إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}** أي: لا يتبع إلاَّ ما أوحى الله-ﷻ- إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره، ودلَّ هذا على أن السُّنَّةَ وحيٌ من الله-ﷻ- لرسوله-ﷺ-، كما قال-ﷻ-: **{وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ}** [النساء/١١٣]، وأنَّهُ -ﷺ- معصوم فيما يخبر به عن الله-ﷻ- وعن شرعه، لأنَّ كلامه لا يصدر عن هوى، وإنَّمَا يصدر عن وَحْيٍ يُوحَى([2]).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-ﷺ- قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنْ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ-ﷺ-، فَقَالَ: **(اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ)**([3]).

---

([1]) الإحكام في أصول الأحكام (١٧٠/٢).
([2]) ينظر تفسير السعدي ص (٨١٨).
([3]) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب/ العلم، باب/ في كتابة العلم (٣٥٦/٣) ح (٣٦٤٨)، وأحمد في مسنده [واللفظ له] (٥٧/١١) ح (٦٥١٠)، قال ابن حجر في الفتح (٢٠٧/١): " وعند أحمد وأبي داود من طريق يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو كنت أكتبُ كُلَّ شيء ....) ثم ساق الحديث وقال: ولهذا طرق أخرى عن عبد الله بن عمرو يقوي بعضُها بعضاً " ا.هـ، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥/٤): " حديث صحيح " ا.هـ

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه– عَنْ رَسُولِ اللَّهِ–ﷺ– أَنَّهُ قَالَ: **(إِنِّي لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: فَإِنَّكَ تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا)**(١).

**الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ:** قوله–ﷻ–: **{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}** [النساء/٥٩].

فهذه الآية صريحة في نفي الاختلاف والتَّعارض والتَّنازع عن نصوص الشَّريعة؛ إذ أَمَرَ اللهُ–ﷻ– المتنازعين بالرُّجُوعِ إلى الكتاب والسُّنَّةِ ليرتفع الاختلاف، ولا يرتفع الاختلاف إلا بالرُّجوع إلى شيء واحد، ولو كان فيه ما يقتضي الاختلاف لم يكن في الرجوع إليه فائدة، بل يكون بالرجوع إليه زيادة في التَّنازع والاختلاف(٢).

**الدَّلِيْلُ الرَّابِعُ:** قوله–ﷻ–: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا}** [الأحزاب/٢١].

فهذه الآية الكريمة تَدُلُّ على أنَّ الله–ﷻ– راض عن أفعال نَبِيِّهِ–ﷺ–، وأنَّ أفعاله موافقة لمراد رَبِّهِ–ﷻ– ؛ إذ رَغَّبَ–ﷻ– في الائتساء بالنَّبِيِّ–ﷺ–، فلما كان الأمر كذلك، تَبَيَّنَ أنَّه لا تعارض ولا اختلاف في شيء من القرآن والحديث الصحيح، وأنَّه كُلَّهُ متفقٌ، وبهذا يبطل مذهب مَن أراد ضرب الحديث بعضه ببعض، أو ضرب الحديث بالقرآن(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب/ البرّ والصِّلة، باب/ المزاح (٣٥٧/٤) ح (١٩٩٠) وقال: " هذا حديث حسن صحيح "، وأحمد في مسنده [واللفظ له] (١٨٥/١٤) ح (٨٤٨١).

(٢) ينظر الموافقات (٦٠/٥).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام (١٧٠/٢).

**الدَّلِيْلُ الخَامِسُ:** عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكرِب(١) -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **(أَلاَ هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلاَلاً اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ)**(٢).

ويؤخذ من هذا الحديث أمورٌ منها:

**أولاً:** أنَّ حُكْمَ الرَّسُولِ -ﷺ- مِثْلُ حُكْمِ الله -ﷻ- في القرآن، ولا تعارض بينهما ولا اختلاف، لا في الأحكام ولا في الأخبار، **وعليه:** فالذي حَرَّمَهُ رسولُ الله -ﷺ- في غير القرآن كما حَرَّمَ اللهُ -ﷻ- في القرآن، قال ابن حجر: أي: مَا حَرَّمَ وأَحَلَّ رسولُ الله -ﷺ- كما حَرَّمَ وأَحَلَّ اللهُ-ﷻ-(٣).

وقال الشَّاطِبِيُّ: " وَإِنَّمَا جَاءَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى الذَّمِّ وَإِثْبَاتِ أَنَّ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ كَكِتَابِ اللَّهِ، فَمَنْ تَرَكَ ذَلِكَ، فَقَدْ بَنَى أَعْمَالَهُ عَلَى رَأْيِهِ، لا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَلا عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- "(٤) ا.هـ

---

(١) هو المقدام بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد الكندي، صحب النبي-ﷺ-، وروى عنه أحاديث وعن خالد ابن الوليد ومعاذ وأبي أيوب، وروى عنه خالد بن معدان وحبيب بن عبيد والشَّعبي وغيرهم، مات بالشام سنة سبع وثمانين، وقيل غير ذلك. ينظر الاستيعاب (١٤٨٢/٤، ١٤٨٣)، الإصابة (٢٠٤/٦).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه [واللفظ له]: كتاب/ العلم، باب/ ما نهي عنه أن يُقال عند حديث رسول الله -ﷺ- (٣٨/٥) ح (٢٦٦٤) وقال: " هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه "، وابن ماجة في سننه: المقدمة، باب/ تعظيم حديث رسول الله-ﷺ-، والتغليظ على مَن عارضه (٦/١) ح (١٢)، وأحمد في المسند (٤٢٩/٢٨) ح (١٧١٩٤)، والحديث حَسَّنَهُ الإمام الترمذي، وصححه الشيخان: أحمدُ شاكر في تحقيقه للرسالة ص (٩١)، والألبانيُّ في صحيح الجامع الصغير (٤٤٣/١).

(٣) لم أقف على قول ابن حجر في فتح الباري، وهو موجود في مرقاة المفاتيح (٢٤٧/١)، تحفة الأحوذي (٣٥٦/٧).

(٤) الاعتصام (١٤٦/١).

وقال ابنُ القَيِّمِ: " وَقَدْ أَنْكَرَ النَّبِيُّ-ﷺ- عَلَى مَنْ رَدَّ سُنَّتَهُ الَّتِي لَمْ تُذْكَرْ فِي الْقُرْآنِ وَلَمْ يَدَّعِ مُعَارَضَةَ الْقُرْآنِ لَهَا، فَكَيْفَ يَكُونُ إنْكَارُهُ عَلَى مَنْ ادَّعَى أَنَّ سُنَّتَهُ تُخَالِفُ الْقُرْآنَ وَتُعَارِضُهُ ؟ "([1]) ا.هـ

**ثانيـاً:** أنَّـه لا يجوز الإعراض عن حديث الرسول-ﷺ-، لأن المُعْرِضَ عنـه مُعْرِضٌ عن القرآن، قـال-ﷻ-:**{وَمَـا آتَـاكُمُ ٱلرَّسُـولُ فَخُـذُوهُ وَمَـا نَـهَـاكُمْ عَنْـهُ فَٱنتَهُواْ}** [الحشر/٧]، وقال -ﷻ-: **{وَمَـا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْـيٌ يُوحَى}** [النجم/٣، ٤]([2]).

**ثالثـاً:** فـى الحديث دليلٌ علـى أنَّـه لا حاجـة بالحديث أن يُعرض علـى الكتاب، وأنَّه مهما ثبت عن رسول الله-ﷺ- حُجَّة بنفسه، وأمَّا ما رواه بعضهم أنه-ﷺ- قال: (إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله، فإنْ وافقه فخذوه، وإنْ خالفه فَدَعُوهُ) فإنـه حديثٌ باطلٌ لا أصل لـه، وقد حكـى زكريـا بن يحيـى السَّاجِي عن يحيى بن معين أنه قال: هذا حديثٌ وَضَعَتْهُ الزَّنادقة([3]).

قـال ابـنُ عبـدِ البـرِّ: " وقـد أَمَـرَ اللهُ-ﷻ- بطاعتـه [أي: الرسـول-ﷺ-] واتِّباعِهِ أمراً مطلقاً مجملاً، لم يقيد بشيء، كما أَمَرَنَا باتِّباع كتاب الله-ﷻ-، ولم يقل: وافق كتاب الله-ﷻ-- كما قال بعض أهل الزيغ-، قال عبد الرحمن بن مهدي: الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث، يعني: ما رُوي عنـه-ﷺ- أنَّـه قال: (ما أتاكم عَنِّي فاعرضوه على كتاب الله، فإنْ وافق كتاب الله فأنا قُلْتُهُ، وإنْ خالف كتاب الله فلم أَقُلْهُ، وإنَّمَا أَنَا موافق كتاب الله، وبـه هداني اللهُ »، وهذه الألفاظ لا تصح عنه-ﷺ- عند أهل العلم بصحيح النَّقل من سقيمه، وقد عارض هذا الحديثَ قومٌ من أهل العلم وقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله-ﷻ- قبل كلِّ شيء ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عَرَضْنَاهُ على كتاب الله-ﷻ- وجدناه مخالفاً لكتاب الله؛ لأنَّا لم نجد في كتاب الله-ﷻ- ألا يقبل من حديث

([1]) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص (١٠٩).
([2]) ينظر مرقاة المفاتيح (٣٣/٢)، تحفة الأحوذي (٣٥٤/٧).
([3]) ينظر معالم السنن (٢٩٨/٤).

رسول الله-ﷺ- إلا ما وافق كتاب الله -ﷻ-، بل وجدنا كتاب الله-ﷻ- يطلق التأسي به والأمر بطاعته، ويحذر المخالفة عن أمره جملة على كُلِّ حالٍ "([1]) ا.هـ

وقال الشَّوْكَانِيُّ: " في هذا الحديث الموضوع نفسه ما يدل على رَدِّهِ، لأنَّا إذا عرضناه على كتاب الله-ﷻ- خَالَفَهُ، ففي كتاب الله-ﷻ-: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}** [الحشر/٧] ونحو هذا من الآيات "([2]) ا.هـ

**رابعاً:** أَنَّ السُّنَّةُ جَاءَتْ مُفَسِّرَةً لِلْكِتَابِ، فَمَنْ أَخَذَ بِالْكِتَابِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِالسُّنَّةِ؛ زَلَّ عَنِ الْكِتَابِ كَمَا زَلَّ عَنِ السُّنَّةِ([3]).

**هذا:** وقد أَكَّدَ العلماء الأجلاء على أَنَّهُ لا يوجد تعارض بين القرآن والسُّنَّةِ، وأنَّ ما يظهر للنَّاظِرِ من تعارضٍ بين بعض النُّصوص من الكتاب، أو من السُّنَّةِ، أو فيما بينهما، يُعَدُّ تعارضاً ظَاهِرِيَّاً ومُتَوَهَّمَاً، يقع في ذهن النَّاظِرِ وفَهْمِهِ، ولا حقيقة له في الواقع ونفس النصوص، وبيان هذا فيما يلي:

**١-** قال **الشَّافِعِيُّ**: " إنَّ الله-ﷻ-وَضَعَ نَبِيَّهُ-ﷺ- من كتابه ودينه بالموضع الَّذي أبان في كتابه، فالفرض على خلقه أن يكونوا عالمين بأنَّه لا يقول إلا بما أُنزل عليه، وأنَّه لا يخالف كتاب الله-ﷻ-، وأنَّه بَيَّنَ عن الله-ﷻ- معنى ما أراد اللهُ، وبيانُ ذلك في كتاب الله-ﷻ-. قال الله-ﷻ-: **{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}** [يونس/ ١٥]، وقال الله-ﷻ- لنبيه -ﷺ-: **{ٱتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}** [الأنعام/١٠٦]، وقال -ﷻ-: **{مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ}** [النساء/٨٠] "([4]) ا.هـ

وقال الشَّافِعِيُّ أيضاً: " وَلاَ تَكُونُ سُنَّةٌ أبداً تُخَالِفُ الْقُرْآنَ "([1]) ا.هـ

---

([1]) جامع بيان العلم وفضله (٢/٣٦٦، ٣٦٧).
([2]) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص (٢٩١).
([3]) الاعتصام (١/١٠٧).
([4]) الأم (٧/٢٨٩).

**٢-** قال **الخطيبُ البغداديُّ**: " وليس في القرآن ولا نصِّ الحديثِ عن رسول الله-ﷺ- تعارض؛ قال الله-ﷻ-: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلافًا كَثِيرًا}** [النساء/ ٨٢]، وقال مخبراً عن نبيه-ﷺ-: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}** [النجم/٣، ٤]، فأخبر أنَّه لا اختلاف في شيء من القرآن، وأنَّ كلامَ نَبِيِّهِ-ﷺ- وحيٌ من عنده-ﷻ-، فَدَلَّ ذلك على أنَّه كُلَّهُ مُتَّفِقٌ، وأنْ جميعه مضافٌ بعضه إلى بعض، ومبنيٌّ بعضه على بعض إما بعطف أو استثناء أو غير ذلك "([1]) ا.هـ

**٣-** قال **الشَّاطِبِيُّ**: " على الناظر في الشريعة أمران:

**أحدهما:** أنْ ينظر إليها بعين الكمال، لا بعين النقصان، ويعتبرها اعتباراً كليَّاً في العبادات والعادات، ولا يخرج عنها ألبتة.....

**والثَّانِي:** أنْ يُوقِنَ أنَّه لا تضاد بين آيات القرآن ولا بين الأخبارِ النَّبَوِيَّةِ، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جارٍ على مهيعٍ([2]) واحدٍ، ومنتظم إلى معنى واحد، فإذا أَدَّاهُ بَادِي الرأي إلى ظاهر اختلاف فواجبٌ عليه أنْ يعتقد انتفاء الاختلاف؛ لأنَّ الله-ﷻ- قد شهد له ألاَّ اختلاف فيه، فليقف وقوف المضطر السَّائل عن وجه الجمع، أو المُسَلِّمِ من غير اعتراض، فإنْ كان الموضع مما يتعلق به حكم عملي فليلتمس المخرج حتى يقف على الحَقِّ اليقين، أو ليبق باحثاً إلى الموت، ولا عليه من ذلك "([3]) ا.هـ

**٤-** قال **ابنُ تيمية**: " إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ يَحْصُلُ مِنْهُمَا كَمَالُ الْهُدَى وَالنُّورِ لِمَنْ تَدَبَّرَ كِتَابَ اللَّهِ-ﷻ- وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ-ﷺ-، وَقَصَدَ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَأَعْرَضَ عَنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَالإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَلا يَحْسَبُ الْحَاسِبُ أَنَّ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضاً أَلْبَتَّةَ "([4]) ا.هـ

---

([1]) المصدر السابق، الموضع نفسه.

([2]) الفقيه والمتفقه (٣١١/١).

([3]) يُقال: هَاعَ الشيءُ يَهِيع هِياعاً: اتَّسَعَ وانْتَشَر، وطَرِيقٌ مَهْيَعٌ: أي واضِحٌ واسِعٌ بَيِّنٌ، وجَمْعُه: مَهايِعُ. لسان العرب/ هيع (٣٧٨/٨).

([4]) الاعتصام (٣١٠/٢).

([5]) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠٢/٥).

**٥-** قال **ابنُ عُثَيْمِين**: " إنَّ الكتاب والسُّنَّةَ ليس بينهما تعارضٌ [أَلْبَتَّةَ]، فليس في القرآن ما يناقض بعضُهُ بعضاً، وليس في السُّنَّةِ الصَّحيحة عن رسول الله- ﷺ- ما يناقض بعضُهُ بعضاً، وليس في القرآن ولا في السُّنَّةِ ما يناقض الواقع [أَلْبَتَّةَ]؛ لأنَّ الواقع واقعٌ حقٌّ، والكتابُ والسُّنَّةُ حَقٌّ، ولا يمكن التناقض في الحقِّ، وإذا فهمت هذه القاعدة انحلت عنك إشكالات كثيرة، قال الله -ﷻ-: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلافًا كَثِيرًا}**"(١) ا.هـ

**ومن خلال ما سبق** يتبين أنَّه لا يوجد تعارض حقيقي بين القرآن والسُّنَّةِ، وإنما هو ظاهري ومُتَوَهَّمٌ، يقع في ذِهْنِ المُجْتَهِدِ وَفَهْمِهِ، وليس له حقيقة في الواقع ونفس النصوص، **وفيما يلي مِثَالانِ لِمُوهِمِ التَّعَارُضِ بَيْنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَدَفْعُ هذا الإِيْهَامِ:**

## المِثَالُ الأَوَّلُ

قوله-ﷻ- **{وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ}** مع ما جاءَ **أَنَّ النَّبِيَّ-ﷺ- شُجَّ فِي وَجْهِهِ وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ**(٢)، وَأُوذِي بِضُرُوبٍ مِن الأذَى ؟ **والجواب من وجهين:**

**الوَجْهُ الأَوَّلُ:** أنَّ المعنى: واللهُ يعصمك من القتل، فلا يصلون إلى قَتْلِكَ(١)، وفيه أنَّ على النَّبِيِّ -ﷺ- أن يحتمل كُلَّ ما دون النَّفس من أنواع البلايا، فما أشد تكليف الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام-(٢) !

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/٥٢، ٥٣).

(٢) عن عَبْدُ الْعَزِيزِ بن أَبِى حَازِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ يُسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: **(جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ-، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- تَغْسِلُ الدَّمَ، وَكَانَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لاَ يَزِيدُ الدَّمَ إِلاَّ كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ)**. أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب/ المغازي، باب/ ما أصاب النَّبِيَّ-ﷺ- من الجراح يوم أحد (٤/ ١٤٩٦) ح (٣٨٤٧)، ومسلم في صحيحه [واللفظ له]: كتاب/ الجهاد والسِّيَر، باب/ غزوة أحد (٣/ ١٤١٦) ح (١٧٩٠)، و**(الرَّبَاعِيةُ)**: إحدى الأسنان الأربع التي تلي الثَّنَايَا، بين الثَّنِيّة والنَّاب، تكون للإنسان وغيره، والجمع: رَباعِياتٌ، **(وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ)** أي كُسِرَ ما يلبس تحت المِغْفَر في الرَّأس، **(يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ)** أي يصب عليها بالتّرس، **(فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ)** أي انحبس وانقطع. ينظر شرح النووي على مسلم (١٢/١٤٨) بتصرف.

قال ابنُ القَيِّمِ: " وقيل العصمة الموعود بها: عصمة النَّفس من القتل، لا عصمته من أذاهم بالكلية، بل أبقى اللهُ-ﷻ- لرسوله-ﷺ- ثواب ذلك الأذى، ولأمته حُسْنُ التَّأَسِّي به إذا أُوذِي أحدُهُم نَظَرَ إلى ما جَرَى عليه وَصَبَرَ، وللمُؤْذِينَ الأَشْقِيَاءِ الأَخْذَةُ الرَّابِيَةُ "([1]) ا.هـ

ومما يَدُلُّ على صحة الوَجْهِ الأَوَّلِ: ما جاء عن سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيُّ وَأَبُي سَلَمَةَ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بنَ عَبْدِ اللهِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- **أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ؟ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ تَحْتَ سَمُرَةٍ (شَجَرَةٍ) وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقُلْتُ: اللهُ، ثَلَاثًا، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ، وَجَلَسَ "([2]).**

---

([1]) ينظر معالم التنزيل (٧٩/٣)، الكشاف (٦٥٩/١)، زاد المسير (٣٩٧/٢)، تذكرة الأريب ص (٨٥)، التفسير الكبير (٣٩٩/١٢)، البحر المحيط (٥٤٠/٣)، البرهان (٦٦/٢)، غرائب القرآن (٣/ ١٨٩)، اللباب في علوم الكتاب (٤٤١/٧)، الجواهر الحسان (٤٧٦/١)، السراج المنير (٣٠٨/١)، روح المعاني (١٩٩/٦)، التحرير والتنوير (٢٦٣/٦).

([2]) ينظر الكشاف (٦٥٩/١)، التفسير الكبير (٣٩٩/١٢)، البحر المحيط (٥٤٠/٣)، البرهان (٦٦/٢)، السراج المنير (١/ ٣٠٨).

([3]) بدائع الفوائد (٧٢٨/٣).

([4]) أخرجه البخاري في صحيحه [واللفظ له]: كتاب/ الجهاد والسِّيَرِ، باب/ مَن عَلَّقَ سيفه بالشَّجَرِ في السَّفر عند القائلة (١٠٦٥/٣) ح (٢٧٥٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه بنحوه كتاب/ الفضائل، باب/ توكُّله على الله-ﷻ-، وعصمة الله-ﷻ- له من النَّاس (١٧٨٤/٤) ح (٨٤٣).

وقوله **(قِبَلَ نَجْدٍ)**: أي ناحيتها، وهي ما بين الحجاز إلى الشَّام، ومنها المدينة والطائف، و **(قَفَلَ)**: رجع، و**(القَائِلَة)**: النَّوم وقت الظَّهيرة، و**(الْعِضَاهِ)**: شَجَرٌ عظيمٌ له شوكٌ، = =و**(سَمُرَةٍ)** شجرة، و**(اخْتَرَطَ)**: سَلَّ، و **(صَلْتًا)**:مجرداً عن غمده. ينظر فتح الباري (٤٢٧/٧) بتصرف.

قال النوويُّ في شرح هذا الحديث: " فيه بيانُ تَوَكُّلِ النَّبِيِّ-ﷺ- على الله-ﷻ-، وعصمة الله-ﷻ- له مِن النَّاس، كما قال الله-ﷻ-: **{وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ}** "([1]) ا.هـ

وعَنْ جَابِرٍ -رضي الله عنه- قَالَ: **(كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ بِذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِلنَّبِيِّ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ فَقَالَ: تَخَافُنِي، قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ: اللهُ، فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ لِلنَّبِيِّ أَرْبَعٌ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ)**([2]).

**الوَجْهُ الثَّانِي:** أنَّ شَجَّ وَجْهِ النَّبِيِّ-ﷺ- وكَسْرَ رَبَاعِيَّتِهِ كان قبل نزول آية **{وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ}**، لأنَّ غزوة أُحُدٍ كانت سنة ثلاث من الهجرة، وسورة المائدة من آخر ما نزل من القُرْآن([3]).

وعلى هذا الوجه فالعصمةُ عامةٌ في كُلِّ مكروهٍ.

## المِثَالُ الثَّانِي

قوله-ﷻ-: **{ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}** [النحل/٣٢] مع ما جاء في الحديث الشريف الذي رواه مسلمٌ فى صحيحه عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىِّ-ﷺ-

---

([1]) شرح النووي على مسلم (٤٤/١٥).

([2]) أخرجه البخاري في صحيحه [واللفظ له]: كتاب/ المغازي، باب/ غزوة ذات الرِّقاع (١٥١٥/٤) ح (٣٩٠٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب/ صلاة المسافرين وقصرها، باب/ صلاة الخوف (٥٧٦/١) ح (٨٤٣).

([3]) معالم التنزيل (٧٩/٣)، زاد المسير (٣٩٧/٢)، لباب التأويل(٧٤/٢)، البرهان في علوم القرآن (٦٦/٢)، اللباب في علوم الكتاب (٤٤١/٧)، السراج المنير (٣٠٨/١)، التفسير المظهري (١٤٤/٣)، وينظر الكشاف (٦٥٩/١)، التفسير الكبير (٣٩٩/١٢)، البحر المحيط (٥٤٠/٣)، غرائب القرآن (١٨٩/٣)، بدائع الفوائد (٧٢٨/٣).

قَالَ: **(مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، فَقِيلَ: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ رَبِّي بِرَحْمَةٍ)**(١).

**إن قيل:** كيف نُوَفِّقُ بين هذه الآية التي تَدُلَّ على أنَّ عملَ المؤمنين في الدنيا سببٌ في
دخول الجَنَّةِ في الآخرة، وبين هذا الحديث الشريف الذي يَدُلَّ على أنَّ المؤمنين يدخلون الجَنَّةَ بفضل الله-ﷻ- ورحمته ؟

**فالجواب من وجوه ستة:**
**الوَجْهُ الأَوَّلُ:** أنَّ نفس دخول الجَنَّةِ بفضل الله-ﷻ- ورحمته، وأمَّا الدَّرجات والمنازل فيها فبحسب الأعمال(٢)، قال الزَّركشي:" ويَدُلَّ له حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-: **(أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ -ﷺ- أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ)** "(٣) ا.هـ

وقال صاحب تتمة أضواء البيان:" الدُّخول بفضل من الله-ﷻ-، وبعد الدُّخول يكون التَّوارث وتكون الدَّرجاتُ ويكون التَّمتعُ بسبب الأعمال، فكُلُّهُم

(١) صحيح مسلم: كتاب/ صفات المنافقين وأحكامهم، باب/ لن يَدخل أحدٌ الجَنَّةَ بعمله، بل برحمة الله-ﷻ- (٢١٦٩/٤) ح (٢٨١٦).
(٢) ينظر المحرر الوجيز (٤٤٥/١)، (٦٤/٥، ٢٤٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٨/٧)، لباب التأويل (٢٣١/٢)، البحر المحيط (٤٠٧/٨)، مفتاح دار السعادة (٨/١)، البحر المحيط (٢٠٦/٨)، عمدة القاري (٢٠٨/٧)، البرهان (٦٧/٢)، السراج المنير (٣٧٧/١)، فتح الباري (٢٩٥/١١)، روح البيان (٣٩/٤)، مرقاة المفاتيح (١٩٢/٨)، بيان المعاني (٣٥٤/١).
(٣) البرهان (٦٧/٢)، والحديث أخرجه ابن ماجة في سننه: كتاب/ الزهد، باب/ صفة (١٤٥٠/٢) ح (٤٣٣٦)، والترمذي في جامعه: كتاب/ صفة الجنة، باب/ ما جاء في سوق الجنة (٦٨٥/٤) ح (٢٥٤٩) وقال: " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه " ا.هـ، وقال الألباني: " ضعيف " ا.هـ السلسلة الضعيفة (٢١١/٤) ح (١٧٢٢)، ومعنى قوله-ﷺ- **(بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ)** أي: بقدر زيادة طاعاتهم لهم كميَّة وكيفيَّة. تحفة الأحوذي (٢٢٠/٧).

يشتركون في التَّفضلِ من الله –ﷻ– عليهم بدخول الجنَّة،ولكنهم بعد الدُّخول يتفاوتون في الدَّرجات بسبب الأعمال"([1]) ا.هـ

**الوَجْهُ الثَّانِي:** يجوز أنْ يكون الحديث مفسراً للآية، والتَّقدير: ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله–ﷻ– لكم وتفضله عليكم، لأنَّ اقتسام منازل الجنَّة برحمته–ﷻ–، وكذا أصل دخول الجنَّة هو برحمته–ﷻ–، حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك، ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته–ﷻ– وفضله، وقد تَفَضَّلَ–ﷻ– عليهم ابتداء بإيجادهم، ثم برزقهم، ثم بتعليمهم([2]).

**الوَجْهُ الثَّالِثُ:** أنَّ عمل الإنسان مهما كَثُرَ لا يستحق به الجنَّةَ لذاته، لولا رحمة الله–ﷻ–
وفضله، فإنَّه جعل الجزاء العظيم على العمل القليل، فصار دخول الجنَّةِ برحمة الله–ﷻ– وفضله([3]).

**الوَجْهُ الرَّابِعُ:** أنَّ التَّصريح بسببٍ لا يستلزم نفي سببٍ آخر، ولولا الفضل من الله–ﷻ– على العامل بإقداره على العمل لم يكن عملٌ أصلاً، وفي التنزيل العزيز: {**ذَلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللهِ وَكَفَى بِٱللهِ عَلِيمًا**} [النساء/٧٠]، وفيه: {**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱللهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**ۖ} [النساء/١٧٥]([4]).

قال **الرَّازِيُّ**: " إنَّ العمل لا يُوجب دخولَ الجنَّةِ لِذَاتِهِ، وإنَّما يُوجبه لأنَّ الله–ﷻ– بفضله جعله علامة عليه ومعرفة له، وأيضاً لَمَّا كان المُوَفِّق للعمل

([1]) تتمة أضواء البيان (٤١٦/٨).
([2]) ينظر فتح الباري (٢٩٥/١١).
([3]) ينظر تفسير المنار (٣٧٦/٨)، تفسير القرآن للمراغي (١٥٤/٨)، التفسير المنير (٢١١/٨).
([4]) ينظر فتح القدير (٢٥٨/٢).

الصـالح هـو الله-ﷻ-، كـان دخـولُ الجنَّـةِ فـي الحقيقـة لـيس إلا بفضـل الله-ﷻ"([1])ا.هـ

**الوَجْهُ الخَامِسُ:** أنَّ المَنْفِي في الحديث السَّالف ذِكره: هو دخول الجنة بالعمل المجرد عن القبول، والمُثْبَت في قوله-ﷻ- **{بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}** هو دخولها بالعمل المُتَقَبَّلِ، والقبول إنَّما يحصل من الله-ﷻ- تفضلاً([2]).

قال الشنقيطي: " إنَّ العمل الَّذي بَيَّنَت الآياتُ كونه سببَ دخولِ الجِنَّةِ هو العمل الَّذي تَقَبَّلَهُ اللهُ-ﷻ- برحمةٍ منه وفضلٍ، وأنَّ العمل الَّذي لا يُدخل الجنَّةَ هو الَّذي لم يتقبله الله -ﷻ-، والله-ﷻ- يقول: **{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ}** [المائدة/٢٧] "([3]) ا.هـ

**الوَجْهُ السَّادِسُ:** أنَّ الباء الواردة في الآية والحديث مدلولُها مختلفٌ، ففي الآية باء المقابلة – وهي الدَّاخلة على الأعواض-، وفي الحديث للسببيَّة، لأنَّ المعطي بعوض قد يعطي مجاناً، وأمَّا المسبب فلا يوجد بدون السَّبب([4]).

ومنهم مَنْ عكس هذا الجواب فقال: الباء في الآية للسببيَّةِ، وفي الحديث للعوض([5])، قال ابنُ القَيِّمِ: " الباء المقتضية للدخول غير الباء التي نُفِيَ معها الدخول، فالمقتضية: هي باء السببيَّةِ الدَّالة على أنَّ الأعمال سبب للدُّخول مقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها، والباء التي نُفِيَ بها الدُّخول: هي باء المعاوضة والمقابلة التي في نحو قولهم: اشتريت هذا بهذا، فأخبر النَّبِيُّ-ﷺ- أنَّ دخول الجنَّة ليس في مقابلة عمل أحدٍ، وأنَّه لولا تغمد الله-ﷻ- لعبده برحمته لَمَا أدخله الجنَّةَ، فليس عمل العبد- وإنْ تَنَاهَى- موجباً بمجرده لدخول الجنَّةِ ولا عوضاً لها، فإنَّ أعماله- وإن وقعت منه على الوجه الذي يُحِبُّهُ اللهُ-

([1]) التفسير الكبير (٢٤٥/١٤)، وينظر اللباب في علوم الكتاب (١٢١/٩).
([2]) ينظر فتح الباري (٢٩٦/١١، ٢٩٧).
([3]) أضواء البيان (١٤٦/٧).
([4]) ينظر البرهان (٦٧/٢)، الإتقان (١٨٤/٢)، مغني اللبيب (١٤١/١).
([5]) ينظر البرهان (٦٧/٢)، السراج المنير (٣٧٧/١).

ﷻ– ويرضاه– فهي لا تقاوم نعمة الله–ﷻ– الَّتي أنعم بها عليه في دار الدُّنيا ولا تعادلها "([1]) ا.هـ

وهذا فصل الخطاب مع الجَبْرِيَّةِ([2]) الَّذين أنكروا أنْ تكون الأعمال سببا في دخول الجنَّة من كُلِّ وجهٍ، والقَدَرِيَّةِ الَّذين زعموا أنَّ الجنَّةَ عوض العمل وأنَّهَا ثمنه، وأنَّ دخولها بمحض الأعمال، والحديث يُبطل دعوى الطائفتين([3]).

**وبنـاء على ما سبق:** فلا يوجد تعارض حقيقي بين القرآن والسُّنَّةِ، وإنما هو ظاهري ومُتَوَهَّمٌ، يقع في ذِهْنِ المُجْتَهِدِ وَفَهْمِهِ، لا في الواقع والحقيقة، بحيث لو أُطيل النَّظَرُ مَلِيًّا؛ لاتَّضَحَ الحَقُّ وَزَالَ التَّوَهُّمُ.

**وبـعد:** فقد أَمَرَ اللهُ–ﷻ– بطاعة الرَّسُولِ–ﷺ– في نحو أربعين موضعاً من القرآن الكريم، كقولـه–ﷻ–: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّـهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّـهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّـهَ لا يُحِبُّ ٱلْكَـافِرِينَ}** [آل عمران/ ٣١، ٣٢]، وقولـه–ﷻ– **{وَأَطِيعُواْ ٱللَّـهَ وَٱلرَّسُـولَ لَعَلَّكُـمْ تُرْحَمُـونَ}** [آل عمران/١٣٢]، وقولـه–ﷻ– **{وَمَـنْ يُطِـعِ ٱللَّـهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ ٱللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْـهُ نَـارًا خَالِـدًا فِيهَـا وَلَـهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}** [النساء/١٣، ١٤]، وقولـه–ﷻ– **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ**

---

([1]) مفتاح دار السعادة (٨/١، ٩).

([2]) المُنْحَرِفُونَ في القَدَرِ طرفان متقابلان: طرفٌ يُثْبِتُ قَدَرَ الله–ﷻ–. ويُغالي فيه، حتى جعلوا العبدَ مجبوراً على فعله، ولم يُثْبِتُوا له فعلاً ولا كسباً على الحقيقة، بل جعلوه كالريشة في الهواء، وجعلوا نسبة الفعل إلى العبد كنسبتها إلى الجماد، كما يُقال: زالت الشَّمس، وسقط الجدار– هؤلاء يسمون الجَبْرِيَّةَ–، وطرفٌ غالوا في النَّفي وقالوا: لا قَدَرَ، والأمر أُنُف، وجعلوا الإنسان خالقا لأفعاله– وهؤلاء هم القَدَرِيَّةُ–. ينظر الفصل الملل والأهواء والنحل (٣٢/٣) وما بعدها، الملل والنحل (٨٤/١)، وشفاء العليل ص (١٢١–١٣٠)، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (٥٣٣/١).

([3]) مفتاح دار السعادة (٩٢/٢).

**ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا . فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}** [النساء/٦٤، ٦٥]، وقوله–ﷻ– **{وَمَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}** [النساء /٦٩]، وقوله–ﷻ– **{قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلاَّ ٱلْبَلاغُ ٱلْمُبِينُ}** [النور/٥٤]، وقوله–ﷻ– **{وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلاةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** [النور/٥٦]، وقوله–ﷻ– **{وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنْتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ}** [الحشر/٧].

فهذه النُّصوصُ تُوجِبُ اتِّبَاعَ الرَّسُولِ وإن لم نجد ما قاله–ﷺ– منصوصاً بعينه فى الكِتَابِ، كما أنَّ تلك الآيات تُوجِبُ اتِّبَاعَ الكِتَابِ وان لم نجد ما فى الكِتَابِ منصوصاً بعينه فى حديث عن الرَّسُولِ –ﷺ– غير الكِتَابِ، فعلينا أنْ نَتَّبِعَ الكِتَابَ، وعلينا أنْ نَتَّبِعَ الرَّسُولَ –ﷺ–، واتِّبَاعُ أحدهما هو اتِّبَاعُ الآخر، فإنَّ الرَّسُولَ–ﷺ– بَلَّغَ الكِتَابَ، والكِتَابُ أَمَرَ بطاعة الرَّسُولِ–ﷺ–، ولا يختلف الكِتَابُ والرَّسُولُ–ﷺ– ألبتة، كما لا يخالف الكِتَابُ بعضُهُ بعضاً، قال–ﷻ–: **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلافًا كَثِيرًا}** [النساء/٨٢]، والأحاديثُ كثيرةٌ عن النَّبِيِّ–ﷺ– في وجوب اتِّبَاعِ الكتاب وفي وجوب اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، كقوله–ﷺ–: **(أَلاَ هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلاَلاً اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ)**[1].

([1]) ينظر كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (١٩/٨٣–٨٥)، والحديث سبق تخريجه ص (٥٦).

# الخاتمة

الحمد للهِ وَحْدَهُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَن لا نَبِيَّ بعده، سيدنا محمد-ﷺ-، وعلى آله وصحبه، ومَن اهتدى بهديه، وسار على دربه.

**وبعد .....**

فمن خلال معايشتي لهذا المبحث المهم من مباحث علوم القرآن الكريم، وهو **(مُوهِمُ الاخْتِلافِ والتَّعَارُضِ)** تَوَصَّلْتُ إلى النَّتَائِجِ التَّالِيَةِ:

**أولاً:** أنَّ المُوهِمَ **لغةً** يدور حول معاني السَّهْوِ والغَفْلَةِ والغَلَطِ والظَّنِّ، **واصطلاحاً:** تَصَوُّرُ الشيء على غير حقيقته، أو هو السَّهْوُ والغَلَطُ في أمر من الأمور على سبيل التَّخَيُّلِ والظَّنِّ.

**ثانياً:** أنَّ الاخْتِلافَ **لغةً:** ضدُّ الاتِّفَاقِ، **واصطلاحاً:** أَنْ يأْخذ كلُّ واحدٍ طريقاً غَيْرَ طريقِ الآخَرِ في حالِهِ أَو قولِهِ.

**ثالثاً:** أنَّ التَّعَارُضَ **لغةً:** مصدر الفعل (تَعَارَضَ)، وأصل اشتقاقه من مادة (عَرَضَ) التي تأتي لمعان عدة، ومنها: المَنْعُ، والمُقَابَلَةُ، والنَّاحِيَةُ والجَانِبُ، **واصطلاحاً:** تَقَابُلُ الدَّلِيْلَيْنِ على سبيل المدافعة والممانعة.

**رابعاً:** أنَّ التَّعَارُضَ يقع للنَّاظِرِ ابتداءً فيما يظنُّهُ اختلافاً بين الآيات، وليس كذلك، لأنَّ كلامَ الله-ﷻ- منزهٌ عن الاختلاف، قال-ﷻ-: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا}** [النساء/٨٢]، فالتَّعَارُضُ والاختلافُ مَنْفِيَّانِ عن الشَّرْعِ، لأن الشَّرْعَ لا اختلاف فيه ولا تعارض ولا تناقض.

**خامساً:** أنَّ الاختلاف على وجهين: **اختلاف تناقض:** وهو ما يدعو فيه أحدُ الشَّيئينِ إلى خلاف الآخر، وهذا هو الممتنع على القرآن، **واختلاف تلازم:** وهو ما يوافق الجانبين، كاختلاف وجوه القراءة، واختلاف مقادير السُّور والآيات، واختلاف الأحكام من النَّاسخِ والمنسوخ، والأَمْرِ والنَّهْيِ، والوعد والوعيد.

**سادساً:** أنَّ الآياتِ القرآنيَّةَ التي يفهم منها قُصَّارُ النَّظَرِ التَّعارضَ؛ يجب حَمْلُ كُلِّ نوعٍ منها على ما يليق ويناسب المقام، كُلٌّ بِحَسَبِهِ، وقد تكلَّم في ذلك الصَّدْرُ الأَوَّلُ: ابنُ عباسٍ والحسنُ البصريُ وَغَيْرُهُمَا.

**سـابـعاً:** أنَّ **الأَسـبـابَ المُوهِمَةَ الاخـتـلاف** متعددة: وهـي: وُقُوعُ المُخْبَرِ بِـهِ عَلَـى أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ- اخْتِلافُ المَوْضُوعِ- اخْتِلافُهُمَا فِي جِهَتَيِ الفِعْلِ- اخْتِلافُهُمَا فِي الحَقِيْقَةِ وَالمَجَازِ- اخْتِلافُهُمَا بِوَجْهَيْنِ وَاعْتِبَارَيْنِ.

**ثامناً:** أنَّ ما يظهر للنَّاظِرِ من تعارضٍ بين بعض النُّصوصِ من الكتاب، أو من السُّنَّةِ، أو فيما بينهما، يُعَدُّ تعارضاً ظَاهِرِيًّاً ومُتَوَهَّمَاً، يقع في ذهن النَّاظِرِ وفَهْمِهِ، ولا حقيقة له في الواقع ونفس النصوص؛ إذ لا يمكن بحال أنْ يصدر عن الشَّارِعِ دليلان متعارضان يقتضي أحدُهُمَا نقيضَ ما يقتضيه الآخر ولا يمكن الجمعُ بينهما ولا يكون بينهما نَسْخٌ.

**تاسعاً:** أنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ ليس بينهما تعارضٌ أَلْبَتَّةَ، فليس في القرآن ما يناقض بعضُهُ بعضاً، وليس في السُّنَّةِ الصَّحيحةِ عن رسول الله-ﷺ- ما يناقض بعضُهُ بعضاً، وليس في القرآن ولا في السُّنَّةِ ما يناقض الواقع أَلْبَتَّةَ؛ لأنَّ الواقعَ واقعٌ حقٌّ، والكِتَابُ والسُّنَّةُ حقٌّ، ولا يمكن التناقض في الحقِّ، قال الله-ﷻ-: **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلافًا كَثِيرًا}** [النساء/٨٢].

**هذا وباللَّهِ-ﷻ- التوفيق**

**{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**

**[الصافات/١٨٠-١٨٢]**

**وصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن**

# فهرس المصادر والمراجع

## أولاً/ كتب العقيدة:

- أصـول الـدين عنـد الإمـام أبـي حنيفـة للشـيخ محمـد بـن عبـد الـرحمن الخمـيس، ط دار الصميعي بالمملكة العربية السعودية– بدون تاريخ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ، تحقيق/ محمد النعساني، ط دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ.
- الفصـل فـي الملـل والأهـواء والنحـل للإمـام علـي بـن أحمـد بـن حـزم الظـاهري ت ٤٥٦هـ، ط مكتبة الخانجي بالقاهرة– بدون تاريخ.
- الملل والنحل للإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ت ٥٤٨هـ، تحقيق/ محمد كيلاني، ط دار المعرفة– بيروت ١٤٠٤هـ.

## ثانياً/ كتب التفسير وعلوم القرآن:

- الإتقـان فـي علـوم القـرآن للإمـام عبـد الـرحمن بـن أبـي بكـر السـيوطي ت ٩١١هـ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار التراث بالقاهرة– بدون تاريخ.
- أحكام القرآن للإمام محمد بن عبد الله الأندلسي، المعروف بابن العربي ت ٥٤٣هـ، ط دار الكتب العلمية– بدون تاريخ.
- إرشـاد العقـل السـليم إلـى مزايـا القـرآن الكـريم للإمـام محمـد بـن محمـد العمـادي، المعـروف بـأبي السـعود ت ٩٨٢هـ، ط دار إحيـاء التـراث العربـي بيـروت– بـدون تاريخ.
- أسـباب النـزول للإمـام علـي بـن أحمـد النيسـابوري الواحـدي ت ٤٦٨هـ، ط مؤسسة الحلبي بالقاهرة ١٣٨٨هـ.
- الأصـلان فـي علـوم القـرآن للـدكتور/ محمـد عبـد المـنعم القيعـي، طبعـة خاصـة بالمؤلف– الرابعة ١٤١٧هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للإمام محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ، ط دار الفكر– بيروت ١٤١٥هـ.
- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال– بهامش الكشاف– للإمام أحمد بن المُنَيَّر الإسكندراني ت ٥٠٤هـ، ط دار الكتاب العربي– بيروت ١٤٠٧هـ.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام عبد الله بن عمر البيضاوي ت ٦٩١هـ، ط دار الفكر بيروت- بدون تاريخ.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر جابر بن موسى الجزائري، ط مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة- الخامسة ١٤٢٤هـ.
- إيجاز البيان عن معاني القرآن للإمام محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي ت ٥٥٠هـ، ط دار الغرب الإسلامي- بيروت ١٤١٥هـ.
- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت ٧٩٤هـ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي- الأولى ١٣٧٦هـ.
- بحر العلوم للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ت ٣٧٣هـ، تحقيق د/ محمود مطرجي، ط دار الفكر بيروت- بدون تاريخ.
- البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ، تحقيق الشيخ/ عادل عبد الموجود، الشيخ/ علي معوض، ط دار الكتب العلمية بيروت- الأولى ١٤٢٢هـ.
- البحر المديد للإمام أحمد بن محمد بن عجيبة ت ١٢٢٤هـ، تحقيق/ أحمد رسلان، الناشر د/ حسن عباس، القاهرة ١٤١٩هـ.
. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للإمام محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ت ٨١٧هـ، تحقيق/ محمد علي النجار، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٣هـ.
- بيان المعاني للشيخ ملا حويش آل غازى عبد القادر، ط مطبعة الترقي- دمشق ١٣٨٢هـ.
- تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم، ط دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ.
- التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٣هـ، ط دار سحنون تونس ١٩٩٧م.
- تذكرة الأريب تفسير الغريب للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ، تحقيق/ طارق فتحي، ط دار الكتب العلمية بيروت- الأولى ١٤٢٥هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن جُزَي الكلبي الغرناطي ت ٧٤١هـ، تحقيق د/ عبد الله الخالدي، ط دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت- الأولى ١٤١٦هـ.

- تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ت ٨٦٤هـ وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، ط دار الحديث بالقاهرة- الأولى- بدون تاريخ.
- تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ/ عبد الرحمن ابن ناصر بن السعدي، ط مؤسسة الرسالة- الأولى ١٤٢٠هـ.
- تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي ت ١٤١٨هـ، ط مطابع أخبار اليوم- بدون تاريخ.
- تفسير القرآن للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ت ٤٨٩هـ، تحقيق/ ياسر إبراهيم، غنيم عباس، ط دار الوطن الرياض ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١هـ، تحقيق د/ مصطفى مسلم، ط مكتبة الرشد- الرياض ١٤١٠هـ.
- تفسير القرآن للإمام محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ت ٣١٩هـ، تحقيق د/ سعد السعد، ط دار المآثر بالمدينة النبوية- الأولى ١٤٢٣هـ.
- تفسير القرآن للإمام محمد بن محمد بن عرفة المالكي ت ٨٠٣هـ، تحقيق د/ حسن المناعي، ط مركز البحوث بالكلية الزيتونية- تونس- الأولى ١٩٨٦م.
- تفسير القرآن للإمام منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ت ٤٨٩هـ تحقيق/ ياسر إبراهيم، غنيم غنيم، ط دار الوطن- الرياض ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي ت ١٣٧١هـ، ط مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر- بدون تاريخ.
- التفسير القرآني للقرآن للدكتور/ عبد الكريم الخطيب، ط دار الفكر العربي بالقاهرة- بدون تاريخ.
- تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ، تحقيق/ سامي سلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع- الثانية ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرآن العظيم للإمام عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم ت ٣٢٧هـ، تحقيق/ أسعد الطيب، ط مكتبة نزار مصطفى الباز بالسعودية- الثالثة ١٤١٩هـ.
- التفسير الكبير للإمام محمد بن عمر التميمي الرازي ت ٦٠٦هـ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت- بدون تاريخ.

- التفسير المظهري للشيخ محمد ثناء الله العثماني المظهري، تحقيق/ غلام تونسي، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢٥هـ.
- تفسير المنار للشيخ/ محمد رشيد رضا ت ١٣٥٤هـ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٩٠م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط دار الفكر المعاصر بدمشق- الثانية ١٤١٨هـ.
- التفسير الواضح د/ محمد محمود حجازي، ط دار الجيل الجديد- بدون تاريخ.
- التفسير الوسيط للدكتور/ محمد سيد طنطاوي، ط دار نهضة مصر للطباعة بالقاهرة- الأولى ١٩٩٧م.
- تفسير آيات الأحكام للشيخ/ محمد علي السايس، ط المكتبة العصرية ٢٠٠٢م.
- تفسير جزء عم للشيخ/ محمد عبده، طبعة دار الشعب- بدون تاريخ.
- جامع البيان في تأويل القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري ت ٣١٠هـ، تحقيق الشيخ/ أحمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة- الأولى ١٤٢٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري القرطبي ت ٦٧١هـ، تحقيق/ هشام البخاري، ط دار عالم الكتب بالرياض- الثانية ١٤٢٣هـ.
- الجواهر الحسان للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت ٨٧٥هـ، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت- بدون تاريخ.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للإمام أحمد ابن محمد بن شهاب الدين الخفاجي ت ١٠٦٩هـ، ط دار صادر بيروت- بدون تاريخ.
- حاشية زاده على تفسير البيضاوي للإمام محمد بن مصطفى القوجوي، المعروف بشيخ زاده ت ٩٥١هـ، ط إحياء التراث العربي- بدون تاريخ.
- الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ، ط دار هجر بمصر- بدون تاريخ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام أحمد بن يوسف السمين الحلبي ت ٧٥٦هـ، تحقيق د/ أحمد الخراط، ط دار القلم بدمشق- الأولى ١٤١٤هـ.

– درة التنزيل وغرة التأويل الكتاب للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي ت ٤٢٠هـ، تحقيق د/ محمد مصطفى، ط جامعة أم القرى
١٤٢٢هـ.
– دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للإمام محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ، ط مكتبة ابن تيمية بالقاهرة– الأولى ١٤١٧هـ.
– رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز للإمام عبد الرزاق بن رزق الله بن خلف الرسعني ت ٦٦١هـ، تحقيق د/ عبد الملك دهيش، ط مكتبة الأسدي بمكة المكرمة– الأولى ١٤٢٩هـ.
– روح البيان في تفسير القرآن للإمام إسماعيل حقي بن مصطفى البرسوي ت ١١٢٧هـ، ط دار إحياء التراث العربي– بدون تاريخ.
– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي ت ١٢٧٠هـ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت– بدون تاريخ.
– زاد المسير في علم التفسير للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ، ط المكتب الإسلامي بيروت– الثالثة ١٤٠٤هـ.
– السراج المنير للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني ت ٩٧٧هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت– بدون تاريخ.
– غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ت ٧٢٨هـ، تحقيق/ زكريا عميرات، ط دار الكتب العلمية بيروت– الأولى ١٤١٦هـ.
– فتح البيان للشيخ محمد صديق حسن خان القنوجي ت ١٣٠٧هـ، ط دار إحياء التراث الإسلامي بقطر ١٤١٠هـ.
– فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ، ط دار الفكر بيروت– بدون تاريخ.
– فضائل القرآن للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ، تحقيق/ مروان العطية وآخرين، ط دار ابن كثير بدمشق ١٤٢٠هـ.
– في ظلال القرآن للأستاذ/ سيد قطب، ط دار الشروق بالقاهرة– بدون تاريخ.

- القواعد الحسان في تفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي ت ١٣٧٦هـ، ط مكتبة الرشد بالرياض- الأولى ١٤٢٠هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن
عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ، ط دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٧هـ.
- الكشف والبيان للإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ت ٤٢٧هـ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت- الأولى ١٤٢٢هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام على بن محمد بن إبراهيم، الشهير بالخازن ت ٧٤١هـ، ط دار الفكر بيروت- ١٣٩٩هـ.
- اللباب في علوم الكتاب للإمام عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ت بعد ٨٨٠هـ، تحقيق / عادل عبد الموجود، علي معوض، ط دار الكتب العلمية بيروت- الأولى ١٤١٩هـ.
- لباب النقول في أسباب النزول للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ، ط دار إحياء العلوم بيروت- بدون تاريخ.
- محاسن التأويل في التفسير للإمام محمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٢٢هـ، تحقيق/ محمد باسل، ط دار الكتب العلمية بيروت- الأولى ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت ٥٤٦هـ، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي، ط دار الكتب العلمية بيروت- الأولى ١٤٢٢هـ.
- مدارك التنزيل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت ٧٠١هـ، تحقيق/ مروان الشعار، ط دار النفائس بيروت ٢٠٠٥م.
- معاني القرآن وإعرابه للإمام إبراهيم بن السَّرِي الزجاج ت ٣١١هـ، ط عالم الكتب بيروت- الأولى ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحاس ت ٣٣٨هـ، تحقيق/ محمد علي الصابوني، ط جامعة أم القرى بمكة المكرمة- الأولى ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن للإمام يحيى بن زياد الفراء ت ٢٠٧هـ، تحقيق/ أحمد نجاتي وآخرين، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة- بدون تاريخ.

- معالم التنزيل للإمام حسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦هـ، ط دار طيبة للنشر والتوزيع- الرابعة ١٤١٧هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن للإمام الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ، ط دار القلم دمشق- بدون تاريخ.
- الموسوعة القرآنية للأستاذ/ إبراهيم الإبيارى، ط موسسة سجل العرب ١٤٠٥هـ.
- موهم التعارض بين القرآن والسنة (دراسة نظرية وتطبيقة) من أول سورة الفاتحة حتى نهاية سورة الأنعام/ عبد الرحمن صالح المحيميد/ رسالة ماجستير/ جامعة الإمام محمد بن سعود/ ١٤٢٧هـ.
- موهم التعارض بين القرآن والسنة (دراسة نظرية وتطبيقية) من أول سورة الأعراف حتى نهاية سورة الحجر/ تركي سليمان النشوان/ رسالة ماجستير/ جامعة الإمام محمد بن سعود/ ١٤٢٦هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام إبراهيم بن عمر البقاعي ت ٨٨٥هـ، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ.
- النكت والعيون للإمام على بن محمد بن حبيب الماوردي ت ٤٥٠هـ، تحقيق/ السيد عبد المقصود، ط دار الكتب العلمية بيروت- بدون تاريخ.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد للإمام علي بن أحمد بن محمد الواحدي ت ٤٦٨هـ، تحقيق/ عادل عبد الموجود وآخرين، ط دار الكتب العلمية بيروت- الأولى ١٤١٥هـ.

**ثالثاً/ كتب الحديث وعلومه:**

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي بيروت- الثانية ١٤٠٥هـ.
- الأسماء والصفات للإمام أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ، تحقيق/ عبدالله الحاشدي، ط مكتبة السوادي بجدة- الأولى- بدون تاريخ.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للشيخ/ محمد عبد الرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ت ١٣٥٣هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت- بدون تاريخ.
- تغليق التَّعْلِيق للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، تحقيق/ سعيد عبد الرحمن، ط المكتب الإسلامي بيروت، دار عمار بعَمَّان- الأولى ١٤٠٥هـ.

- الجامع الصحيح للإمام محمد بن عيسى الترمذي ت ٢٧٩هـ، تحقيق الشيخ/ أحمد شاكر، ط دار إحياء التراث العربي بيروت– بدون تاريخ.
- السلسة الضعيفة للشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني، ط مكتبة المعارف بالرياض– بدون تاريخ.
- سنن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ، ط دار الكتاب العربي، بيروت– بدون تاريخ.
- سنن الإمام محمد بن يزيد القزويني، المعروف بابن ماجة ت ٢٧٥هـ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار الفكر بيروت– بدون تاريخ.
- شرح الإمام يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦هـ على صحيح الإمام مسلم، ط دار إحياء التراث العربي بيروت– الثانية ١٣٩٢هـ.
- صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ، تحقيق د/ مصطفى البغا، ط دار ابن كثير اليمامة– الثالثة ١٤٠٧هـ.
- صحيح الإمام محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ت ٣٥٤هـ، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة بيروت– الثانية ١٤١٤هـ.
- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري ت ٢٦١هـ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي بيروت– بدون تاريخ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت– بدون تاريخ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ت ٨٥٢هـ، ط دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٠هـ، تحقيق/ عبد الرحمن المعلمي، ط المكتب الإسلامي بيروت– الثالثة ١٤٠٧هـ.
- فيض القدير للإمام محمد عبد الرؤوف المناوي ت ١٠٣١هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت– الأولى ١٤١٥هـ.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للإمام ملا علي القاري ت ١٠١٤هـ، ط دار الفكر بيروت– الأولى ١٤٢٢هـ.

- المستدرك للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥هـ، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية بيروت- الأولى ١٤١١هـ.
- مسند الإمام أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي ت ٣٠٧هـ، تحقيق/ حسين سليم أسد، ط دار المأمون للتراث بدمشق- الأولى ١٤٠٤هـ.
- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١هـ، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط مؤسسة الرسالة- الثانية ١٤٢٠هـ.
- معالم السنن للإمام أحمد بن محمد الخطابي البستي ت ٢٨٨هـ، ط المطبعة العلمية بحلب- الأولى ١٣٥١هـ.
- المعجم الكبير للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ت ٣٦٠هـ، تحقيق/ حمدي السلفي، ط مكتبة العلوم والحكم بالموصل- الثانية ١٤٠٤هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ت ٦٠٦هـ، تحقيق/ طاهر الزاوي، محمود الطناحي، ط المكتبة العلمية- بيروت ١٣٩٩هـ.

**رابعاً/ كتب الفقه وأصوله:**

- الإحكام في أصول الأحكام للإمام علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ت ٤٥٦هـ، ط دار الحديث بالقاهرة- الأولى ١٤٠٤هـ.
- أصول الإمام علي بن محمد البزدوي الحنفي ت ٤٨٢هـ، ط مطبعة جاويد بريس- كراتشي- بدون تاريخ.
- الاعتصام للإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ت ٧٩٠هـ، ط دار ابن عفان ١٤١٢هـ.
- الأم للإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي ت ٢٠٤هـ، ط دار المعرفة بيروت ١٣٩٣هـ.
- البحر المحيط في أصول الفقه للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت ٧٩٤هـ، تحقيق د/ محمد تامر، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١هـ.
- التقرير والتحبير في علم الأصول/ ابن أمير الحاج، ت ٨٧٩هـ، ط دار الفكر بيروت ١٤١٧هـ.
- الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤هـ، تحقيق/ أحمد شاكر، ط دار الكتب العلمية- بدون تاريخ.

- الفقيه والمتفقه للإمام أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ، تحقيق/ عادل الغزازي، ط دار ابن الجوزي بالسعودية ١٤١٧هـ.
- الموافقات للإمام إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي ت ٧٩٠هـ، تحقيق/ مشهور آل سلمان، ط دار ابن عفان- الأولى ١٤١٧هـ.

**خامساً/ كتب النحو والإعراب والمعاجم والدواوين الشعرية:**

- إعراب القرآن للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ت ٣٣٨هـ، تحقيق د/ زهير غازي، ط عالم الكتب بيروت ١٤٠٩هـ.
- إعراب القرآن وبيانه للشيخ محيي الدين الدرويش، ط دار الإرشاد بسوريا- بدون تاريخ.
- تاج العروس من جواهر القاموس للإمام محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقَّب بمرتضى الزَّبيدي ت ١٢٠٥هـ، ط دار الهداية- بدون تاريخ.
- تهذيب اللغة للإمام أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري ت ٣٧٠هـ، تحقيق/ محمد عوض، ط دار إحياء التراث العربي بيروت- الأولى ٢٠٠١م.
- ديوان امرئ القيس، ط دار الكتب العلمية بيروت- الخامسة ١٤٢٥هـ.
- شرح الإمام رَضيِّ الدين محمد بن الحسن الأستراباذي ت ٦٨٨هـ على كافية ابن الحاجب، ط منشورات جامعة قار يونس ببنغازي- الثانية ١٩٩٦م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري ت ٣٩٣هـ، تحقيق/ أحمد عطار، ط دار العلم للملايين بيروت- الرابعة ١٤٠٧هـ.
- القاموس المحيط للإمام محمد بن يعقوب الفيروز ابادى ت ٨١٧هـ، ط مؤسسة الرسالة بيروت- الثامنة ١٤٢٦هـ.
- لسان العرب للإمام محمد بن مكرم بن منظور ت ٧١١هـ، ط دار صادر بيروت - الأولى- بدون تاريخ.
- المحكم والمحيط الأعظم للإمام علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت ٤٥٨هـ، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠م.
- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت بعد ٦٦٦هـ، تحقيق/ محمود خاطر، ط مكتبة لبنان- بيروت ١٤١٥هـ.
- المخصص للإمام علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت ٤٥٨هـ، تحقيق/ خليل إبراهيم، ط دار إحياء التراث العربي بيروت- الأولى ١٤١٧هـ.

- المصـباح المنيـر للإمـام أحمـد بـن محمـد بـن علـي الفيـومي المقـري ت ٧٧٠هـ، ط المكتبة العلمية بيروت- بدون تاريخ.
- معجم مقاييس اللغة للإمام أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، تحقيق/ عبد السلام هارون، ط دار الفكر ١٣٩٩هـ.
- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، ط دار الدعوة- بدون تاريخ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للإمام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ، تحقيق د/ مازن المبارك، محمد علي، ط دار الفكر بيروت- السادسة ١٩٨٥هـ.

**سادساً/ كتب التَّراجمِ والتَّاريخِ والسِّيَرِ:**

- أبجد العلوم للإمام محمد صديق حسن خان القنوجي ت ١٣٠٧هـ، تحقيق/ عبد الجبار زكار، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب للإمام يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر ت ٤٦٣هـ، تحقيق/ علي البجاوي، ط دار الجيل بيروت- الأولى ١٤١٢هـ.
- الإصـابة فـي تمييـز الصـحابة للإمـام أحمـد بـن علـي بـن حجـر العسـقلاني ت ٨٥٢هـ، تحقيق/ علي البجاوي، ط دار الجيل بيروت- الأولى ١٤١٢هـ.
- إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للإمام مصطفى بن عبد الله القسطنطيني ت ١٠٦٧هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط المكتبة العصرية صيدا- بدون تاريخ.
- التـاريخ الكبيـر للإمـام محمـد بـن إسـماعيل البخـاري ت ٢٥٦هـ، ط دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد- بدون تاريخ.
- تذكرة الحفاظ للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ، تحقيق/ زكريا عميرات، ط دار الكتب العلمية بيروت- الأولى ١٤١٩هـ.
- تقريب التهذيب للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، تحقيق/ محمد عوامة، ط دار الرشيد بسوريا ١٤٠٦هـ.
- الثقات للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي ت ٣٥٤هـ، تحقيق/ السيد شرف الدين، ط دار الفكر- الأولى ١٣٩٥هـ.

- حليـة البشـر فـي تـاريخ القـرن الثالـث عشـر/ عبـد الـرزاق حسـن البيطـار ت ١٣٣٥هـ، ط دار صادر بيروت- الثانية ١٤١٣هـ.
- سبل الهدى والرَّشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي ت ٩٤٢هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت- الأولى ١٤١٤هـ.
- سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة بيروت- التاسعة ١٤١٣هـ.
- شذرات الذَّهب في أخبار مَن ذَهَبَ للإمام عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ، تحقيق/ عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، ط دار بن كثير دمشق ١٤٠٦هـ.
- طبقات الشافعية للإمام أبي بكر بن أحمد بن محمد، ابن قاضي شهبة ت ٨٥١هـ، ط عالم الكتب بيروت- الأولى ١٤٠٧هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي ت ٧٧١هـ، ط دار هجر- الثانية ١٤١٣هـ.
- فهرس الفهارس للشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ت ١٣٨٢هـ، تحقيق/ إحسان عباس، ط دار الغرب الإسلامي بيروت- الثانية ١٩٨٢م.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين/ إسماعيل بن محمد أمين البغدادي ت ١٣٩٩هـ، ط وكالة المعارف الجليلة- استانبول ١٩٥١م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمَان للإمام أحمد بن محمد بن خلِّكان ت ٦٧٢هـ، تحقيق/ إحسان عباس، ط دار صادر بيروت ١٩٩٤م.

**سابعاً/ كتب عامة:**

- أدب الاختلاف في الإسلام/ طه جابر فياض العلواني، ط كتاب الأمة- بدون تاريخ.
- بدائع الفوائد للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ، تحقيق/ هشام عطا وآخرين، ط مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة- الأولى ١٤١٦هـ.
- التعريف ببعض علوم الإسلام الحنيف للشيخ/ عبد الله نجيب سالم، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت- بدون تاريخ.
- التوقيف على مهمات التعاريف للإمام محمد عبد الرؤوف المناوي ت ١٠٣١هـ، تحقيق د/ محمد الداية، ط دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق- الأولى ١٤١٠هـ.

- جامع بيان العلم وفضله للإمام يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت ٤٦٣هـ، تحقيق/ فواز زمرلي، ط مؤسسة الريان، دار ابن حزم- الأولى ١٤٢٤هـ.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ، تحقيق د/ محمد غازي، ط مطبعة المدني بالقاهرة- بدون تاريخ.
- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، تحقيق/ عبد الرحمن العاصمي، ط مكتبة ابن تيمية- بدون تاريخ.
- الكليات للإمام أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق/ عدنان درويش، محمد المصري، ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩هـ.
- مجموع الفتاوى للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت ٧٢٨هـ، تحقيق/ أنور الباز، عامر الجزار، ط دار الوفاء- الثالثة ١٤٢٦هـ.
- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ت ١٤٢١هـ، جمع وترتيب/ فهد السليمان، ط دار الوطن، دار الثريا ١٤١٣هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت- بدون تاريخ.

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| **المقدمة** | ١٥ |
| **أولاً/ المُوهِمُ لغةً واصطلاحاً** | ١٧ |
| **ثانياً/ الاختلافُ لغةً واصطلاحاً** | ١٨ |
| **ثالثاً/ التعارضُ لغةً واصطلاحاً** | ١٩ |
| **رابعاً/ المراد بـ (مُوهِمِ الاختلاف والتعارض)** | ٢٢ |
| **خامساً/ تَنْبِيْهَانِ في الاختلاف والتعارض** | ٢٣ |
| **سادساً/ فائدتان عن الغزاليِّ والكرمانيِّ في معنى الاختلاف ونوعيه** | ٢٤ |
| **سابعاً/ كلامُ الصَّدْرِ الأَوَّلِ في مُوهِمِ الاختلاف** | ٢٦ |
| ١- ما جاء عن ابن عباس-رضي الله عنهما- | ٢٦ |
| ٢- ما جاء عن الحسن البصري- رحمه الله- | ٣٦ |
| ٣- ما جاء عن بعض العلماء | ٣٩ |
| **ثامناً/ الأَسبابُ المُوهِمَةُ الاختلاف** | ٤٠ |
| **السبب الأول:** وقوع المخبر به على أحوال مختلفة | ٤٠ |
| **السبب الثاني:** اختلاف الموضوع | ٤٣ |
| **السبب الثالث:** اختلافهما في جهتي الفعل | ٥٣ |
| **السبب الرابع:** اختلافهما في الحقيقة والمجاز | ٥٦ |
| **السبب الخامس:** اختلافهما بوجهين واعتبارين | ٥٧ |
| **تاسعاً/ اسْتِشْكَالانِ وَجَوَابُهُمَا** | ٦٤ |
| الاسْتِشْكَالُ الأَوَّلُ | ٦٤ |

| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| الاسْتِشْكَالُ الثَّانِي | ٦٧ |
| **عاشراً/ مُوهِمُ التَّعَارُضِ بَيْنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ** | ٦٨ |
| **مِثَالانِ لِمُوهِمِ التَّعَارُضِ بَيْنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَدَفْعُ هذا الإِيْهَامِ** | ٧٧ |
| المِثَالُ الأَوَّلُ | ٧٧ |
| المِثَالُ الثَّانِي | ٧٩ |
| **الخاتمة** | ٨٥ |
| **فهرس المصادر والمراجع** | ٨٧ |
| **فهرس الموضوعات** | ١٠٠ |